المملكة المغربية

جامعة القرويين

* *

كلية الشريعة - فاس

كلية الشريعة

جمادى الثانية 1398 مايو 1978

العدد 3

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

* * *

لا إله إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم

الآية 129 سورة التوبة

يسعدُ أسرةَ مجلة "كلية الشريعة" - وقد أخذت طريقها من جديد - أن تتقدمَ لحضرة أمير المومنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعزّ الله أمرَه، بآيات الشكر والامتنان، على الرعاية المولوية الكريمة التي تلقاها هذه المجلة من جلالته. ونغتنم هذه المناسبة لتجديد ولائنا وشديد تعلقنا بالقائد الملهم الحكيم، موحد المغرب. سائلين الله العلي العظيم أن يكلأه بعينه التي لا تنام، وأن يحفظ سمو ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد، وصنو المولى الرشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الكريمة، إنه تعالى سميع الدعاء، وهو ولي التوفيق.

افتتاحية

بقلم الاستاذ العابد الخرشافي

يصدر هذا العدد ــ العدد الثالث من مجلة « كلية الشريعة » ــ وقد استأثرت رحمة الله بمؤسسها ومديرها وعميد كلية الشريعة بجامعة القرويين فضيلة الاستاذ العلامة الشريف مولاى عبد الواحد العلوى المدغرى وبموته طويت صفحة من صفحات الجهاد المتواصل والعمل الدؤوب والحركة التى لا تعرف التوقف ولا الوهن وقد غاب رحمه الله فى وقت تشتد فيه مسؤولية العلماء للقيام برسالتهم فى ترسيخ العقيدة الاسلامية السليمة بشرح اسسها واهدافها وما ترمى اليه من اسعاد البشر ودحض الشبه التى يختفى وراءها اعداء الاسلام لمحو الحق وتثبيت الباطل .

فقد كافح رحمه الله فى اكثر من ميدان وجاهد بقلمه ولسانه وله مواقف مشهودة ومآثر معروفة سيحتفظ بها فى سجلات العلماء الافذاذ القلائل . فكان بذلك الخلف لشيخ الاسلام المصلح المجدد العالم السلفى سيدى محمد بن العربى العلوى . ومن بيت هذا الاخير كان منطلق الفقيد وفى هذا البيت ــ وقد كان مدرسة بذاتها اكتملت معارفه وتكونت شخصيته فكان كما عرفناه علما وسعة اطلاع وكان كما عرفناه ثاقب الفكر بعيد النظر قوى الحجة فصيح اللسان .

واستجابة من اسرة المجلة لرغبة عدد غير قليل من قرائها ننتهز فرصة صدور هذا العدد لنشر ترجمة لحياة فقيدنا رحمه الله منقولة عن النص الذى سبق له ان حرره بنفسه بتاريخ فاتح ربيع الاول عام 1393 ــ 5 ابريل 1973 .

وقد قضى رحمه الله الفترة الواقعة بين التاريخ الذى انتهى اليه وبين خامس يونيه 1977 ــ اليوم الذى وافته فيه المنية ــ قضاها عميدا لكلية الشريعة حيث اسند اليه سيدنا المنصور بالله جلالة الحسن الثانى اعز الله امره هذه العمادة ابتداء من يوم عاشر ابريل 1973 ــ وفى الشهور الاولى لتسلمه مهام

العمادة كان من أولى اهتماماته العمل على اصدار مجلة تحمل اسم : جامعة القرويين أو كلية الشريعة ـ تعنى بالشؤون الاسلامية والعلمية . تشد ازر العلماء، وتقوى جانبهم، وتعرف من ابحاثهم ومقالاتهم آراؤهم وافكارهم، وتكون صلة بينهم وبين غيرهم، فقد دأب الناس على اعتبار العلماء فى جانب، والناس والدنيا فى جانب، فهى خير وسيلة لتصحيح الفهم الخاطىء، ورد الاعتبار، وتقريب المسافة وبالتالى تمهد السبيل وتهيىء المناخ المناسب لنشر رسالة القرويين على أوسع نطاق وفى احسن الاحوال . فدعا رحمه الله الى أول اجتماع فى موضوع المجلة حضره عدد من العلماء ولقيت الفكرة التحبيذ والتاييد . واتخذت ـ على الفور العدة للخروج بالمشروع الى الوجود . وكان ان صدر العدد الاول فى شهر يوليوز من سنة 1976 . وصدر العدد الثانى فيما بعد، ويجب ان نعترف بان الرجل ـ وقد كان يعانى من المرض والشيخوخة ما كان يعانى ـ بدل فى هذا السبيل من الجهد ما لا يستطيعه من هو اصغر منه سنا وأكثر عافية . لذلك فاننا ـ ونحن نسير فى نفس الطريق الذى اختطه . نستلهم عزيمته القوية وايمانه الراسخ . وصموده امام كل الصعاب . فنواصل ـ بحول الله ـ الخطى ونتخطى كل العقبات . والله ولى التوفيق .

وفيما يلى نص الترجمة كما كتبها رحمة الله عليه .

الحمد لله وحده

فى ، فاتح ربيع الاول 1393

الموافق ، 5 ابريل 1973

استجابة لطلب الاخ الاستاذ سيادة وزير التربية الوطنية فى ذكر نبذة من حياتى

الاسم :

عبد الواحد بن محمد بن الطيب العلوى المدغرى يرجع نسبه الى المولى على بن طاهر بن لحسن بن يوسف بن مولانا على الشريف دفين سجلماسة .

المولد :

ولد بالقصر الجديد من مدغرة اقليم قصر السوق عام 1326 ، الموافق لسنة 1909 ونشأ بمقر مولده

وفيه حفظ القرآن ومبادىء العلوم نحوا وفقها وعقائد

رحلته لطلب العلم :

وفى شهر ذى الحجة من عام اثنتين واربعين وثلاثمائة والف للهجرة — 1342 — شد الرحلة لمدينة فاس بقصد اخذ العلم وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة (17) سنة وهو سن مبكر بالنسبة للطلبة الاتين بفاس وكان له خير معين على تحقيق امله فى الرحلة لطلب العلم ابن عم والده الشقيق ابرز علماء القرويين اذ ذاك وموقد جذوة الفكرة الاصلاحية السلفية والوطنية بها شيخ الاسلام المنعم سيدى محمد بن العربى العلوى المدغرى .

اساتذته :

اخذ العلم عن علماء القرويين وكان اهم من اخذ عنهم ولازم دروسهم ابن عمه سيدى محمد بن العربى العلوى ومولاى عبد السلام العلوى ومولاى احمد البلغيثى وسيدى عبد الرحمن بن القرشى وسيدى الراضى الحنش وسيدى عمر ابن سودة وسيدى احمد الشرادى وسيدى الفاطمى الشرادى وسيدى عبد السلام السرغينى وسيدى احمد الشامى والاستاذ اقصبى ومولاى عبد الله ابن ادريس العلوى المدغرى المدعو الفضيلى وسيدى الحسين العراقى ومولاى الشريف التكناوتى وسيدى الطائع ابن الحاج وسيدى محمد ابن الحاج والسيد العباس بنانى وسيدى محمد بن جعفر الكتانى وسيدى محمد ابن الحاج الاعرج ومولاى على الدرقاوى وقد استفاد كثيرا من رفقائه فى الدروس ولا سيما فى دروس سيدى محمد بن العربى العلوى التى كانوا يحضرونها وتفتحت قلوبهم لتلقى دعوة الاصلاح من شيخهم المذكور .

دراسته :

وتلقى دروسه على الطريقة التى كانت متبعة فى تلقى العلم بكلية القرويين قبل النظام .

ولما ادخل النظام القرويين كان أول من دخل فيه من الطلبة الافاقين فى أول يوم اعلن الشروع فى تطبيقه وذلك فى خامس محرم عام 1350 هجرية وتخرج بها محصلا على الشهادة العالمية فى أوائل رجب عام 1353 هجرية .

الدرجة العلمية :

وفى خامس ذى الحجة عام 1353 ادرج فى الطبقة الرابعة من طبقات العلماء بكتاب من وزارة العدلية بعدد 2737 وتدرج منها للثالثة فالثانية فالاولى وهى اعلى طبقة لعلماء القرويين قبل النظام .

وظائفه :

تقلد خطة العدالة بفاس بتاريخ 15 شوال 1352 والامامة بجامع الحمراء بفاس الجديد — والخطبة بمسجد ابى الجنود بفاس والتدريس بمدرسة رحبة القيس الوطنية الحرة بفاس والنيابة فى التدريس فى القسم النهائى الدينى عن استاذه سيدى الحسين العراقى وعن الاستاذ سيدى محمد اشرقى بالثانوى وشارك فى مباراة التحصيل على النيابة فى التدريس بالقرويين فى عهد النظام بعد ان تطوع بالتدريس سنتين وفق الضابط اذ ذاك .

وفى 6 ربيع الاول عام 1358 الموافق مارس سنة 1939 عين مدرسا رسميا بعد النجاح فى المسابقة الواقعة فى فاتح محرم عام 1358 وبكتاب من وزارة العدلية بعدد 2274 وانيب عنه فى التدريس بالابتدائى غيره وناب هو عن غيره فى القسم الثانوى بكتاب من الوزارة اجابة لرغبة تلامذته وذلك فى اواخر ابريل سنة 1939 ثم عين مدرسا للفقه والتفسير واصطلاح الحديث ثم نقل لتدريس النحو فى الثانوى بتاريخ 1360 الموافق مارس 1941 وفى هذا الشهر عين عضوا فى لجنة المباراة لتعيين مدرس بالكلية وعين فى لجنة امتحان السادسة بالقرويين بقرار وزيرى مؤرخ فى 15 جمادى — 2 — 1364 الموافق 28 ماى 1945 بعدد 524 بعد ان عين استاذا فى الثانوى من فاتح يناير سنة 1943 كما عين عضوا فى مسابقة لتعيين مدرس بالكلية فى ثانى فبراير 1948 الموافق 21 ربيع الاول 1367 وفى

عام 1362 كان عين مدرسا بالقسم النهائى الادبى بالكلية وبقى فيه الى تاسع عشر اكتوبر 1953 الموافق 10 صفر 1373 حيث فصل ظلما عن وظيفه بالقرويين بعد حوادث غشت 1953 وفى خامس يناير من سنة 1956 اعيد الى منصبه بكلية القرويين بعد عودة جلالة الملك المقدس سيدى محمد الخامس طيب الله ثراه الى عرشه وتحصيل الوطن على استقلاله رغما للظلم واعادة الحق الى نصابه .

وفى 7 شعبان 1375 الموافق 19 مارس 1956 ولى خطه القضاء باحواز الدار البيضاء استجابة لداعى الوطن وقبولا لطلب وزارة العدل وفى 15 ماى 1957 عين رئيسا لمجلس الاستيناف الاقليمى بالدار البيضاء كما عين عضوا من اعضاء اللجنة الملكية التى احدثت بظهير شريف بتاريخ 19 غشت 1957 لتدوين الفقه الاسلامى ومستشارا بالمحكمة العصرية اذ ذاك بالدار البيضاء من سنة 1956 الى سنة 1958 ثم عين قاضيا مستشارا مقررا من سنة 1961 الى سنة 1968 بالمجلس الاعلى وانعم عليه عند انتقاله لهذا المجلس بوسام العرش من الدرجة الثالثة بتاريخ 15 اكتوبر سنة 1961 ثم عين محاميا عاما به من فاتح يناير 1968 وبقى يعمل بالنيابة العامة لدى المجلس الاعلى الى الآن .

نشاطه الثقافى :

فى فترة دراسته بالقرويين عمرها الله ، كان متصلا بنخبة من رفاقه فى الدراسة وكانوا — يطالعون ما يصل اليهم من الكتب الشرقية والجرائد والمجلات وكتب الادب والتاريخ بفضل اجتماعات بمحلات سكناهم بالمدرسة وبفضل ما كانوا يلزمون به انفسهم من حفظ الاشعار المختارة وشرحها وعرضها عند الاجتماع وبفضل احداثهم مجلات شهرية اعطوها اسماء باختيارهم وكانوا يكتبون فيها ويوزعونها على اعضائهم لا تتجاوزهم الى غيرهم ، وقد كان اسس مشروعا لتدوين الفقه مع الاستاذين السيد محمد السراج والسيد محمد بن عبد الله . مدير مدارس ابن غازى الحرة اذ ذاك بعد تخرجهم من كلية القرويين وتحصيلهم على الشهادة العالمية وانجزوا تدوين الجزء الاول والثانى من كتاب الفقه الابتدائى وتم طبعهما وتوزيعهما فى المدارس الحرة بالمغرب وحتى فى الجزائر وكانت دراسة الفقه الابتدائى بهما فى مدارس ابن غازى بفاس التى كان مديرا لها الاستاذ السيد محمد بن عبد الله احد المؤلفين وطبع الجزآن بمطبعة ابن عبد الله بمراسة بالرباط 1354 ثم طلبت مندوبية المعارف من لجنة التاليف المذكور متابعة عملها برسالة مؤرخة ب 20 محرم عام 1364 حسب هذه الرسالة الواصلة اليه من المندوبية المذكورة ولكن سياسة الاستعمار حالت دون تنجيز المقررات وتحقيق المتمنيات وبعد ان انتقل من وظيف التعليم الى منصب القضاء كان يلقى محاضرات كاستاذ اضافى فى كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وفى دار الحديث الحسنية وفى المدرسة الوطنية الادارية وفى المعهد الوطنى للدراسات القضائية الى الان وفقه الله الى خدمة الدين والوطن فى ركاب امير المومنين جلالة الحسن الثانى نصره الله آمين .

وفى التاريخ اعلاه

الامضاء :

عبد الواحد العلوى المدغرى

محام عام
لدى المجلس الاعلى

نظام الحكم في الإسلام

خطة الحسبة

بقلم فضيلة العلامة سيدى عبد الله كنون
الامين العام لرابطة علماء المغرب

هى احدى الخطط اى الولايات فى نظام الحكم الاسلامى ، ماخوذة من الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فى الامر ، كما فى القاموس وصاحبها المحتسب ، وتسمى ايضا ولاية السوق لان اكثر نظر صاحبها فيما يجرى بالاسواق . من غش وخديعة وتفقد مكيال وميزان وما اشبه ذلك .

ولعل التسمية الثانية ترجع الى اصل تخطيطها . فقد ثبت ان النبى (ص) ولى سعيد بن العاص على سوق مكة ، وتوالى الامر على ذلك حتى اتسعت دائرة نظرها فشملت كل ما يحتسب فيه من أمر بمعروف ونهى عن المنكر فحينئذ استقرت تسميتها بالحسبة . قال الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانية : « حاصل الحسبة امر بمعروف ظهر تركه ، ونهى عن منكر ظهر فعله . قال تعالى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية ، وهى فى حق غيره اى المحتسب فرض كفاية ، وايضا عليه ان يبحث عن المنكرات الظاهرة وعن ما ترك من المعروف الظاهر ، ويعزر فى ذلك ويتخذ عليه اعوانا ويعدى اليه فيه وليس ذلك لغيره وهى واسطة بين احكام القضاء واحكام المظالم) .

وظاهر من هذا انها وظيفة دينية دنيوية معا ، وليست وظيفة دينية فحسب ، كما عدها ابن خلدون . وهى فى ذلك مواكبة لفلسفة الدعوة الاسلامية التى تجمع بين الدين والدنيا ولاتفرق بينهما ، ومن ثم يقال ان الاسلام مصحف وسيف وعبادات ومعاملات ، ويخطىء من يقيسه على النصرانية التى فصلت الدولة عن الدين او على اى فلسفة تجعل الحكم بمجنبة من الاخلاق .

الحسبة فى السلم الوظيفى

الحسبة بما لها من اهمية فى المجتمع الاسلامى تاتى بعد ولاية المظالم وخطة القضاء فى السلم الوظيفى على صعيد المدن والاقاليم ، كما تشعر به عبارة الماوردى السابقة ، وكما كان عليه الحال الى قريب من منتصف القرن الراهن فى المغرب . ويبين اهميتها ما حظيت به من عناية الدارسين واهتمام الباحثين ، حتى خصت بالتاليف ، وكتبت فيها عشرات المؤلفات باقلام جهابذة العلماء من المشرق والمغرب ، متحدثة عن اختصاصاتها وصفات المحتسب وما الى ذلك ، الامر الذى لم تظفر به الولايات الاخرى ولا سيما ولايات (المظالم) و (الرد) الذى يعتبر بمثابة الاستئناف و (الشرطة) . ولعل السر فى ذلك يرجع الى شدة ارتباطها بمصالح الافراد والجماعات

وسهرها على الامن النفسى والعيش الرضى للمواطنين ، كما يتبين من اختصاصاتها ومجالات العمل فيها .

اختصاصاتها

وبحسب ما يذكره الفقهاء وما تضمنته كتب الحسبة فان كل ما يتعلق ببخس وتطفيف فى كيل او وزن وما يتعلق بغش وتدليس فى مبيع او ثمن وما يتعلق بمطل وتأخير فى دين او اجر ، هو من اختصاصات الحسبة ، وينظر فيه المحتسب عند الرفع اليه ويبث الحكم فيه اذا لم يتوقف الامر على اثبات. ثم هو ينظر نظرا عاما فى مصالح المدينة والسكان فيقمع المنتهكين للجرمات ويغير المنكرات ، ويحافظ على العوائد الحسنة ويأمر بالمعروف حتى اذا رأى صبيا تائها فان عليه ان يبعثه الى الكتاب او الى المصنع ويتفقد طرق الشوارع فيواخذ المكلفين بالتنظيف اذا اخلوا بواجبهم ويمنع شغل الطريق بما يعوق حركة المرور ويخفف الاثقال عن الدواب ويحبس الحيوانات الضارية التى قد تؤذى المارة كالكلاب وغيرها ، ويمنع رفع الاصوات بالغناء ، واطلاق اجهزة الاذاعة بكيفية تؤذى الجيران والعموم ، ويراقب المطاعم والاغذية المعروضة للبيع للاطمئنان على خلوها مما يضر بالصحة العمومية ، ويدخل الحمامات للتاكد من نظافتها واستعمال المآزر ، ويتفقد الصناع والحرفيين للحرص على سلامة اعمالهم من الغش والتدليس وكذا الجزارين والبقالة ، وما شابههم فيختبر بضائعهم وموازينهم منعا للخيانة والتطفيف ، وكذلك يتفقد اسواق الصاغة وباعة الحلى لضمان الامانة وعدم استغلال سذاجة النساء ورقتهن ماديا او خلقيا ، وكل ذوى الصنائع والحرف التى يحتاج اليها الناس يشملهم نظره ، ويتعين عليه عدم الغفلة عن ملاحظة احوالهم واعتنائهم بما فيه راحة زبنائهم والمتعاملين معهم سواء فيما يرجع للكفاءة المهنية او للامكنة والادوات التى يستعملونها من حيث الصلاحية وعدم الضرر .

التثمين والتسعير

اذا خيف من التلاعب بالاثمان نتيجة المضاربة فى السلع الاولية جاز للمحتسب ان يأمر بوضع الاثمان على السلع المطلوبة ومعاقبة من يخالف ذلك .

واما التسعير فقد ورد النهى عنه ولكن لغلبة الحرص على الناس اجاز الفقهاء التسعير بل طلبوه فى خصوص المواد الغذائية كالدقيق والزيت واللحم وما شابه ذلك ، رعاية للمصلحة العامة ، واشترطوا فيه اذن الامام العادل وجمع وجوه اهل السوق لهم ، نعم فى بعض الحالات كالاحتكار ونحوه يجب التسعير .

صفات المحتسب

اشترط الفقهاء فى المحتسب ان يكون فقيها قائما مع الحق نزيها عالى الهمة معلوم العدالة ذا امانة وحلم وتيقظ لا يستفزه طمع ولا تأخذه فى الله لومة لائم ولا يعجل على احد حتى يعذر اليه .

بين الحسبة والبلدية

تصور بعضهم ان اختصاصات الحسبة هى اختصاصات البلدية ، وراوا ان فى اقامة البلديات غنى عن الحسبة وهو وهم باطل بما ذكرناه من سعة نظر المحتسب وشموله لمصالح الافراد والجماعات ، ومطالب الدين والدنيا ، فى حين ان مهمة البلدية مدنية محض ، وهى بعض من كل مما يهتم به المحتسب ، ثم ان المحتسب كما بينا حاكم يفصل فى كثير من الخصومات اليومية ، ولا كذلك البلدية ، ولا ينكر ان هناك تداخلا فى بعض وظائفهما ، ولكن البلدية بكل حال لا تغنى عن الحسبة ابدا ، وقد وجد فراغ كبير فى المجتمع المغربى بل الاسلامى على العموم بعد تعطيل سلطة المحتسب وحجب تصرفه الذى كان يجعل من المدينة فى عالم الاسلام مجتمعا فاضلا قريبا مما دعا اليه الحكماء وجاء به الانبياء ، وما يزال المصلحون ينادون به .

وغير خفى ان نظام البلديات نظام غربى منبثق من حضارة غير حضارة الاسلام التى تعطى للمعنويات اهمية كثيرة وتتحرك باعتبار ما يقتضيه شرع الاسلام من التوفيق بين مطالب الروح والجسد ، وذلك هو ما جعل مهمة المحتسب مزدوجة .

من تاريخ الحسبة

راينا ان نشأة الحسبة بدات على عهد النبى (ص)

وكان عمر فى ايام خلافته يقوم بها بنفسه ، واستمرت العناية بها من الخلفاء على اتم وجه ، وكانوا لا يولونها الا من توفرت فيهم شروطها من العلم والحزم والدين ، وممن وليها فى ايام الخليفة الهادى العباسى ، الامام نافع بن عبد الرحمن احد القراء السبعة ، وسار الامر على هذا المنوال فى المغرب ، ففى ايام الموحدين كان ممن وليها الفقيه الاديب الشاعر ميمون الخطابى ، فانا نجد فى ترجمته انه ولى حسبة الطعام بمراكش العاصمة .. وهذا يعنى انها تفرعت الى فروع منها حسبة الطعام . وفى ايام المرينيين كان شاعرهم عبد العزيز المازوزى ممن اسندت اليه وتقرا فى حوادث سنة 691 ان السلطان ابا يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق امر بجعل الصيعان على مد النبى (ص) وذلك على يد المازوزى .. وطارت للحسبة فى المغرب شهرة لكفاءتها وحسن تدبيرها ، جاوزت حدود الوطن الى بلاد المشرق ، كما تدلنا على ذلك حادثة الحاج المغربى الذى اودع ماله عند بعض التجار المصريين فجحده اياه ، وعظمت المصيبة على الرجل حتى كاد يفقد عقله وصار يطوف بالشوارع ويقول من لى بابن ماواس ؟ من لى بابن ماواس ؟ والناس لا يعرفون من امره شيئا ، ولا من هذا الذى ينادى باسمه ، وكان ابن ماواس محتسب فاس وهو ابن الموقت المشهور ابى العباس ابن ماواس ، وبقى الرجل على حاله حتى بلغ خبره ابن ماواس فاهتم بشأنه ، ورحل الى مصر واتصل به وعرف قضيته واحتال حتى استخرج الوديعة من التاجر الجاحد ، وابلغ امره الى السلطات المصرية التى عاقبته بما يستحق ورجع ابن ماواس والحاج المغربى الى ارض الوطن بعد هذه الرحلة الناجحة ، والمهمة الغريبة . والحكاية مذكورة بتفصيل فى كتاب الانيس المطرب للعلمى .

وذكر الشيخ ميارة انه كان يرى فى صغره بمكتب المحتسب رفوفا عليها كتب عديدة ، ولما سأل عنها قيل له انها مؤلفات فى احكام الحسبة ينظر فيها المحتسب ويستعين بها على مهمته .

فالامر كان جدا كما نرى ، والقضية تتعلق بخطة حكم ، تنتظم بها شؤون الاقتصاد والاجتماع والدين فى آن واحد ، ومن المؤسف ان يطغى عليها تيار الغزو الاجنبى فى العالم الاسلامى كله ، ذلك الغزو الذى انحسر تياره ماديا ولكن رواسبه المعنوية ما تزال قائمة تثير الشجون وتقذى العيون ، ولكن الامل فى جلالة الملك نصره الله وطيد فى اعادة هذه الخطة الى ما كانت عليه ، فهو الذى يستطيع ان يعيد المياه الى مجاريها مع ما تتطلبه الظروف الوقتية طبعا من التعديلات والاصلاحات .. والله ولى التوفيق .

عبد الله كنون

نظام الإسلام في المال والاقتصاد

(بقية مانشر في العدد 2 ص . 7)

موضوع شارك به فضيلة العلامة الفاروق الرحالي عميد كلية اللغة العربية رئيس المجلس العلمي بمراكش في مؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض من : 1 الى 10 ذي القعدة 1396 .

واذا كانت اتاحة فرصة الانتفاع بالدين شيئا ذا قيمة فلتكن في القروض التي توظف في طرق التنمية الا ان الطريق المعقول في هذه القضية ايضا هو ان تعامله مع الشركة على نسبة يتفق عليها في الربح والخسارة لا ان تعامله معاملة الدين بالربا فان ذلك ليس طريقا للتعامل المشروع .

ومن هنا كان النظام الاقتصادي في الاسلام لا يقوم على تدعيم طغيان المال وكفرانه ولا ينظر فيه الى مجرد تضخم الموارد وكثرة المنافع — وان فسدت هذه الموارد ، وان خبثت هذه المنافع « قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون » فحفظ المكاسب من الخبائث اوجب الواجبات والحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ، ويمحق الله الربا ويربي الصدقات ، وانما يقوم الاقتصاد القومي في الاسلام على اساس تعبئة الناس للعمل والاخلاص والارفاق لا على اساس التعامل بالربا . والغش والارهاق — وبتبادل الخامات والخبرات ، وابرام المعاهدات والصفقات ، وانشاء الصناعات برؤوس اموال تتجمع بالمساهمة ، وتخضع لحكم الربح والخسارة ، وانما يصعد الاقتصاد بالصدق والاستقامة وان مفهوم الاقتصاد في لغتنا العربية هو الاستقامة .

فلا مفر من أن يهيمن على الاقتصاد العام اصحاب الخبرة والامانة والاستقامة — واذا توفر ذلك جاءت الاموال من سائر الجهات وجالت في الاسواق وفي سائر المشروعات .

كما انه اي الاقتصاد في الاسلام يقوم على العمل المرتب والمنظم في الهيئات والجماعات وباصلاح الاراضي وضمان سيرها ، وتعهد حركتها وتنظيم فلاحتها وتجديد ادواتها وباحيائها بالسدود والغابات واستنباط الماء . وبالبحث والتنقيب عن دفائنها ، واخراج معادنها وتصفية مخابئها كما قال صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا الرزق في خبايا الارض) .

وانما يقوم ايضا وهذا هو الاساس باستقامة الانسان استقامة متفتحة تاخذ بقواعد الخبرة وفوائد المهنة — وبتصميم محدد واضح منبثق عن طبيعة الامة وحاجتها وعقيدتها فلا يمسه ضغط ولا يشوبه غموض ولا ياخذه فساد حتى يكون اقتصادا قيما في اطره ومناهجه ، قويا في اهدافه ونتائجه ، وحتى يكون اقتصادا لا تسوء معادله ولا تذم مداخله — طيبا في المكسب سويا في المذهب وسطا في التوزيع والانفاق — وحتى ينتهي في كل قطاع حيوي الى

خير ونماء ونعمة ورخاء .

واذا كان البرنامج سليما ومستقيما ، واذا كان المسؤولون خبراء صادقين وامناء صالحين فلا جرم أن يتبوأ الاقتصاد مقاما يحقق الاهداف ويساير الاعراف وما القصد والاقتصاد ، الا العدل والاستقامة ، وذلك هو باب التنمية ، وراس الحكمة.

والنبى الاكرم صلى الله عليه وسلم يقول : التدبير نصف المعيشة — وما عال من اقتصد ويخبر ان الاسلام يزيد ولا ينقص ، ويعلو ولا يعلى عليه بمعنى أن حياته تتقدم ولا تتأخر — وتتمشى ولا تتقهقر وان نظامه يعلو على اهواء الافراد والجماعات ، واغراض الطوائف والطبقات ، وما ذلك الا لانه يقوم على العقيدة والحكمة والبصيرة ، — وعلى ممارسة الحياة باعتبار الحاجة والظروف وعلى العدل فى الحقوق والامن فى النفوس والاخذ بالمثل العليا الا ان قرار وجوده ، ودوام نظامه يتوقف على الادراك الصحيح لتعاليمه ، والتكييف المناسب لطبيعته ، ليتاتى لشباب الاسلام أن يميز بين حسن نظام وقبح آخر — وليتبين مدى تاثير النظام فى المجتمع وغاية اتصاله بالمشاكل — ذلك أن التقدم الاجتماعى ، يرتبط كل الارتباط بالتقدم الثقافى والطبيعة البشرية لا غنى لها عن مدرسة تربى النفس ، وتروض العقل ، وتنقل من مرحلة الى مرحلة ومن مستوى الى مستوى والعلم طريق النمو والتقدم — وانما يكون العلم بالتعلم لذلك كانت العناية بمصلحة التعليم التى تنتظرها سائر المصالح الاخرى ضرورية ولازمة — اذ ذلك هو باب التربية ،وطريق التنمية، فينبغى مواجهتها بشجاعة وصراحة وببذل جهود صادقة فى انظمتها ، وتكوين اطرها ومعادنها وفى اصلاح ما فسد واختل من برامجها .

واذا ما التزمنا عملا قارا ومنتجا فى ظل هذا النظام الذى ابدينا شيئا من خطوطه الاولية ، واوضحنا بعضا من جوانبه العملية فان الحياة تتفتح ان شاء الله ابوابها ، وتنحل عقدها ومشاكلها وتنهض شعبها ومشاريعها ، — ويتسنى لذلك النظام — ان يأتى بنتائجه ومراميه من حصول التكافل وانتظام التعامل ، وقلة الشغب والاضطراب فيسير قدما الى الامام مستجيبا لما تمليه الظروف وتوحيه الحاجة — وان يحقق كذلك نوعا من الاشتراك والترابط بين طبقات المجتمع بواسطة رؤوس الاموال ، وقيم الاعمال ، فلا يبقى فرد الا وقد أخذ حظه من عنصر المال الذى اتاه الله الناس كل على حسب وجوده فى العمل ، ونفوذه فى الجماعة — والمال والعمل شيئان لا زمان لقوى حياة الروح والجسم ، والمال والعمل هما روح الاقتصاد ، وهما كل شىء فى النهوض بالبلاد .

والمال مخلوق للجماعة لا للافراد التى تطفى بسببه ، وتفتتن بجمعه ، ومن ثم كانت مصلحة الفرد تختفى امام مصلحة الجماعة والفرد نفسه وجد لمساندة الجماعة ومناصرة حقها لا لمجرد اطاره الضيق ومحيطه الخاص ، ومن شذ عن الجماعة شذ فى النار — على اننا اذا حافظنا على مصلحة الجماعة فقد حافظنا فى ذات الوقت على مصلحة الفرد اذ ما من فرد فرد الا ويتضمنه المجتمع العام ويتأثر به صالحا أو فاسدا ناشطا او عاطلا — والشىء مع غيره غيره وحده — فالقوة الاجتماعية تعالج القوة الاقتصادية ، والقوة الاقتصادية تهيىء الوحدة السياسية .

وتحقيقا لهذا الوضع فى اوسع نطاق ينبغى ان تشمل الحركة الاقتصادية فى الامة الاسلامية انشاء بنك اسلامى يتولى تمويل المشاريع الانمائية، واقامة سوق مشتركة تقبل مختلف البضائع الاسلامية حتى يستفيد البعض من خبرة الآخر ومن طرق اقتصاده واسلوب تقنيته .

وحتى يتاح بحول الله وقوته النهوض فى المجالات العلمية والصناعية ، وذلك على غرار ما يسمى البنك الدولى ، والسوق الاوربية ، الا ان بنك الاسلام يسيره نظام الاسلام ويراقبه ابناء الاسلام الموثوق بسلوكهم وسيرتهم .

وهذه الجولة لا غنى للمسلمين عنها اذا كانت رغبتهم صادقة فى تكوين قوة اسلامية يحسب لها حسابها وينتظر فى الحضور غيابها ، وعند ما تتهيا الظروف لتحقيق هذين المجالين فان الوحدة تأتى باذن الله تلقائيا ، وما ذلك على الهمم المعقودة بمتعذر ولا ببعيد .

هذا وان نظام الاسلام يهدف قبل كل شىء

الى تحقيق السلوك الاجتماعى والعمل الاجتماعى والعدل الاجتماعى — والى المحافظة على قوة الايمان وقوة المال وتوزيع هذه القوة بين فئات المجتمع تارة بالانحتام واخرى بالاندفاع فى طريق الخير والبر ، وفى سبيل العزة والكرامة على أن يكون ذلك فى حركة مطردة ومتواترة .

والناس دائما فى حاجة الى حركة المال وبحركته يتحركون وينتعشون ، وبتعطيله يتعطلون وينكسون ، فان الدنانير والدراهم خواتم الله فى أرضه ، ومن أتى بخاتم ربه قضيت حاجته ، والخير والبركة فى استثماره ، والشر والاثم فى احتكاره — ويعبر عن حركة المال المنظمة والبحث عن اسباب التنمية ووجوه الانتاج وطرق العيش والاصدار — بالاقتصاد السليم او بالنظام المستقيم — فمن اخذ الله بيده جعله مستويا فى خطاه ومرتبطا بهداه ومن اختصه الله برحمته وجعله من اهل بره وطاعته اوصى بالمال فى صحته وشحته ، وانفق من المال فى المشاريع لينال من ذلك خير المرابيع ، وفى كتاب الله العزيز : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وهذا النص الكريم يهدد الذين لا يساهمون فى الحياة بأموالهم والذين يعتقدون انها قاصرة على مصالحهم ، وخادمة لشهواتهم .

وبقدر ما يتوجه الاسلام الى طلب تحريك المال وتنظيم استغلاله ، ويتعرف بحق الملك وحق التصرف فيه حتى لا تصادم الميول الطبيعية ، والاشواق الفردية ، وحتى لا يتحطم نشاط الحياة الاجتماعية ، — بقدر ما يوصى بضمان حياة المعطوبين والمعوزين الذين قعدوا عن المساهمة فى أعمال الحياة عن عذر ظاهر وسبب قاهر ، وبقدر ما يحارب المرابين وينعتهم بالظالمين ولعلو ذلك لان عقود الربا تفضى الى قساوة القلوب وتخل بعضوية المجتمع ، واهمال ابواب التكسب ، حتى ان صاحب راس المال يكتفى بما يدره عليه ماله من الفوائد والارباح ويختفى بالمرة عن مسرح الحياة العامة وذلك امارة فساد نفسه ، وشذوذ طبعه لان مساهمة المرء فى الحياة شىء تقتضيه طبيعته الراقية وفطرته السامية .

ومن اجل هذه الآثار السيئة لعن نبى المسلمين صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده ، ونعوذ بالله من العقوق والمخالفة ، ومن لعنة الربا وسوء المعاملة ونعوذ بالله من محاربة الله ورسوله « الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا » فهذه الآيات الكريمة تنطق بحكم الربا وما يلاقيه المرابون من الخيبة والخبال ، وفساد النفس وذهاب الاموال — وقد تكفلت خاتمة سورة البقرة ببيان احكام الاموال واحوال الاغنياء ونوعتهم الى ثلاثة انواع : محسنون على اختلاف درجاتهم وتفاوت اعمالهم وهم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله وهم الذين ينفقون بالليل والنهار سرا وعلانية وهم الذين رفع الله قدرهم وضاعف اجرهم وذلك قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

ولما كان هذا العمل ساميا ورائعا حذر سبحانه من عروض الآفات التى تمنع من ترتب

اثره عليه ـ كالمن والاذى ـ والسمعة والربا ، ومدح الذين يحفظون انفسهم من تسرب هذا الداء اليها فقال : « الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ما له رئاء الناس ولا يومن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين» ثم ضرب سبحانه مثلا للنفقة التى يكون مصدرها الصدق والاخلاص بجنة علىربوة تصخى للشمس عند الطلوع وعند الغروب وتكون بمدرجه للاهوية والرياح فتطيب وتنمو وتتضاعف وذلك قوله تعالى : « ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فئاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » ثم ضرب سبحانه مثلا للذى يعمل عملا لا ينفعه عند الحاجة اليه لوجود عارض يمنع من الانتفاع به فقال « ايود احدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون »

ثم امر سبحانه المومنين أن يتقربوا اليه بأطيب ما كسبوا لا بالردىء والخبيث والمستكره فقال : « يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » .

وهؤلاء المنفقون هم المحسنون فى اموالهم والموفقون فى اعمالهم ، والمضاعف فى اجورهم واما القسم الثانى فهم المستاكلة اى الظالمون والمرابون الذين يجهزون على المحتاج والمضطر فاذا دعته الحاجة اليهم لم ينفسوا كربته ولم يرحموا ضرورته الا بزيادة على ما يبذلونه له وذلك قوله تعالى : « والذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » الآية فذكر الله جزاءهم وما اعد لهم من الخزى فى الدنيا والاهانة فى الاخرى وانه لا يحبهم ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم .

والربا الزيادة التى يتناولها المرابى من المديان ، والتى يختلف سعرها باختلاف الزمان والمكان وتشبيه المرابى بالمتخبط المصروع يمكن أن يكون فى الدنيا والمعنى ان اولئك الذين فتنهم المال واستعبدهم واستفزهم يخرجون عن طبيعة الاعتدال فى حياتهم وحركاتهم حتى أن قيامهم يشبه قيام المسوس لان زيادة الحرص وكثرة الشره تخرج المرء عن طبيعته حتى يقف ويطيش ويضطرب فلا يبقى موضع توازن واعتدال ، وهذا معنى صائب الا ان مذهب الجمهور ان ذلك يكون يوم البعث شعارا يعرف به المرابون فى هذا اليوم تشنيعا عليهم وتبشيعا لحالهم ـ وذلك أن الربا يربو فى بطن صاحبه فاذا ما اراد الاسراع يوم البعث تساقط لاعتلال بطنه كما يتساقط المجنون لاختلال عقله .

وأما القسم الثالث فهم التائبون والعادلون اى الآخذون برؤوس اموالهم لا يزيدون ولا ينقصون ولا يظلمون ولا يظلمون ، وذلك قوله تعالى : « وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ثم الربا بمعنى الزيادة يشمل ربا الفضل وربا النساء .

وهذا الاخير اشد انواع الربا ضررا واكثرها

ظلما وفسادا ومن اجل ذلك كان محرما فى الشرائع الاولى كما حكى الله ذلك عن اليهود فى قوله : « واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل » وفى قصة شعيب عليه الصلاة والسلام عند ما انكر عليه قومه وقالوا : « اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد » .

والوارد فى القرآن يحتمل العموم ان صرفنا النظر عن القرائن والملابسات الخارجية — كما يحتمل الخصوص اذا نظرنا الى الظروف المحيطة بوقت النزول — ويرجع هذا الى اختلاف آراء علماء الاسلام فى اعتبار عموم الالفاظ وخصوص الاسباب .

والاسلام فى أول الامر انما نهى عن التعامل بالربا فى شؤون الدين والقرض كما روى اسامة ابن زيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما الربا فى النسيئة وفى رواية لا ربا الا فى النسيئة ولكنه فيما بعد احاط حمى الله بسياج من القيود حتى لا يقر به الناس فيقعوا فيه — ومن هذا القبيل الروايات التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم فيها عن ربا الفضل .

والمسلمون مكلفون بدرس هذه القضية الخطيرة فى داخل بلادهم للقضاء على انظمة الفائدة فى معاملاتهم ولا قرار نظام اسلامى صحيح فى حركة اقتصادهم .

ومن ثم قال علماؤنا ان معاملة المسلمين لها حالتان ، الحالة الاولى ما اذا لم يظهر الربا بينهم — والحالة الثانية ما اذا ظهر الربا بينهم ، ففى الحالة الاولى رجح الائمة مالك والشافعى وابن حنبل رحمهم الله تعالى معاملة المسلمين على معاملة اهل الكفر لانهم يتعاملون بالربا وهم مخاطبون بفروع الشريعة وفى الحالة الثانية قال بعض اصحاب الامام مالك معاملة الكفار اولى لوجهين ، الوجه الاول انهم غير مخاطبين بفروع الشريعة على احد القولين: فلا يكون ما اخذه بالربا منهم محرما على هذا القول بخلاف المسلم فانه مخاطب بتطبيق احكام الشريعة قولا واخذا .

الوجه الثانى ان الكافر اذا اسلم ثبتت ملكيته على ما اكتسبه بالربا والغصب وغير ذلك — والمسلم اذا تاب لا يثبت ملكه على شىء من ذلك لقوله تعالى : « وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم » ومن اجل هذين الملحظين اعتمد بعض اهل الورع معاملة اهل الكفر وجوز ابو حنيفة رحمه الله الربا مع الكافر مطلقا ظهر الربا بالمسلمين ام لا لقوله عليه الصلاة والسلام : لا ربا بين المسلمين .

وبعد فان كل نظام ربوى لا بد وان يحدث ضعفا فى الروح ويسبب خللا فى المجتمع من حيث انه يجعل القلة تتصرف فى الكثرة .

وفى الوقت الذى نرى فيه المصارف والبنوك تسهل طريق التعامل وتساهم فى حركة المشاريع — نرى انها تقضى على كثير من الاسر والعشائر وتمضى بهم فى طريق البؤس والافلاس والشقاء ويجرهم ذلك حتما الى فساد الاخلاق وارتكاب الجرائم وتهديد الامن والنظام كما يحط ذلك من مستوى معيشتهم . ومستوى تربية ابنائهم ، — ومن اجل ذلك تتعرض الحكومات الى عمل شاق من اتخاذ التدابير الزاجرة ، ورصد الاعتمادات الباهضة لمواجهة خطر المفلسين بحكم قانون الربا.

وجاء فى اعلام الموقعين ان الربا نوعان جلى وخفى — فالجلى حرم لما فيه من الضرر العظيم ، والخفى حرم لما فيه من الذريعة الى الجلى فتحريم

الاول مقصود بالذات وتحريم الثانى مقصود بالعرض فأما الجلى فربا النسيئة وهو الذى كانوا يمارسونه فى الجاهلية ، مثل ان يؤخره ويزيده فى المال وكلما اخره زاده حتى يصير الالف مثلا آلافا مؤلفة واضعافا مضاعفة فيشتد الضرر وتعظم المصيبة ، فكان من حكمة الله ورحمته أن حرم الربا على عباده ، ولعن آكله ومؤكله وشاهده وكاتبه وقال هم سواء — وآذن من لم يدعه بحربه وحرب رسوله — وقد سئل الامام أحمد رحمه الله عن الربا الذى لا يشك فيه فقال : هو أن يكون له دين فان لم يقضه زاده فى المال وزاده الآخر فى الاجل — وحديث انما الربا فى النسيئة يراد به حصر الكمال اى الربا الكامل انما هو فى النسيئة وهو كقوله تعالى : « انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المومنون حقا » .

وهذا الذى سماه ابن القيم بالربا الجلى والذى قال فيه الامام أحمد بن حنبل الشيبانى انه الربا الذى لا يشك فيه — هو المحرم بنص القرآن وهو ربا النسيئة الذى كانوا يتعاملون به فى الجاهلية وهو المتعارف فى معاملة هذا العصر ايضا — وهو المخرب للبيوت ، والمزيل للرحمة من القلوب ، والمتوعد عليه بأشد أنواع الوعيد والمولد للعداوة بين الاقوياء والضعفاء ، ولذلك كانت المعركة قائمة ودائمة بين العمال وأصحاب الاموال ، فهل يسمح عقل مجرد بعد هذا ان يقول : ان تحريم الربا ضار بالناس وعائق عن التنمية وهل هذه الا مغالطة ومعارضة لامر الله وحكمته فى خلقه — وان آيات سورة البقرة تقتلع الربا من جذوره وتحاربه فى جميع فصوله حتى انه لا يمكن أن تقوم حياة اسلامية اقتصادها مؤسسات ربوية ، وقد أسلفنا بيان الاسباب التى تجعل الاسلام لا يطيق الصبر على الربا — وحتى ان الكلمات التى جاء بها القرآن لاعلان حرمة الربا كانت أشد وأنكى من الكلمات التى اتى بها للنهى عن سائر المنكرات.

وأما ربا الفضل الذى سماه ابن القيم رحمه الله بالربا الخفى الذى يمكن ادخاله فى عموم الاحاديث الواردة فى بيع احد النقدين بالآخر ونحوهما فهو محرم لسد الذرائع لا لذاته وهو من الربا المشكوك فيه لا من المنصوص عليه فى القرآن الذى لا نشك فيه ولو كان من الربا الذى لا شك فيه ما وقع فيه خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم وما بعدهم من الائمة ولذلك قال ابن القيم انه محرم لسد الذريعة ، وما حرم سدا للذريعة قد يباح فى وقت آخر للمصلحة .

ويستخلص من هذا ان الربا منه ما أجمع المسلمون على منعه ولم يخالف فيه أحد وذلك ربا النسأ ومنه ما اختلفوا فيه وذلك ربا الفضل — وحديث ابى المنهال عبد الرحمن بن مطعم الكوفى المروى فى الصحيح انه سأل البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضى الله عنهما عن الصرف فقالا : كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن الصرف فقال : ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسأ فلا يصلح اه يدل بظاهره على جواز الفضل فى الجنس الواحد لان الصرف يشمل مبادلة الجنس بجنسه ومبادلة الجنس بغيره — وهناك روايات عن جماعة من الصحابة تقضى بحرمة ربا الفضل — وبعض هذه الروايات يوجد فى الصحيح الا أن الراجح من جهة أصول الشريعة وصناعة الحديث هو حرمة ربا الفضل فى الجنس

الواحد — وذلك ان من القواعد والاصول ان كثرة الرواة من المرجحات ، وان الحديث الخاص يقدم على الحديث العام — وان المطلق يحمل على المقيد جمعا بين دلائل الشريعة ونصوصها — على ان جماعة من العلماء اثبتوا ان دلائل الحرمة نسخت دلائل الاباحة لتأخرها عنها والعمل بالمتأخر واجب فلقد جاء التصريح أن اباحة ربا الفضل المذكور فى حديث البراء بن عازب وزيد بن ارقم رضى الله عنهما كانت أول مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا — وان تحريم ربا الفضل وقع فى خيبر اى فى السنة السابعة من الهجرة النبوية وكيفما دار الامر فدلائل الحرمة اقوى من دلائل الاباحة .

ومن الواضح أن الحاجة الى تبادل شيئين من جنس واحد لا تعرض الا اذا كان احد الشيئين أعلى نوعا من الآخر ، فالتبادل مع اتحاد الجنس واختلاف النوع بالزيادة والنقصان منظمة لنشوء عقلية تفضى بصاحبها الى المرابأة والاستنفاع الحرام فقررت الشريعة الا يكون التبادل الا سواء بسواء او أن يبيع كل واحد شيئه نقدا ثم يشترى من غيره نقدا حسب سعر السوق ، وذلك هو سبيل الانقاذ وطريق السداد ان شاء الله تعالى وفى موافقات الامام الشاطبى رحمه الله ان ربا الجاهلية الذى قالوا فيه انما البيع مثل الربا — هو فسخ الدين وهو الذى دل عليه قوله تعالى : « وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وقوله عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله ، وقد كان العباس رضى الله عنه من كبار المرابين فى العرب .

واذا كان الامر هكذا وكان المنع انما هو من اجل كونه زيادةعلى غير عوض — فقد الحقت السنة به كل ما فيه زيادة بذلك المعنى فقال عليه الصلاة والسلام الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد .

هذا ولقد ظل الربا محرما فى كل عصر من عصور الاسلام حتى اباحته المدنية المادية وجعلته أصلا من اصول الحياة الاقتصادية ومنهجا من مناهج العدالة القانونية — ولقد قالوا ان تحريم الربا يعوق سير الاعمال التجارية كما يعوق تنفيذ المشروعات العمومية — وهو تحريم حقا لا يتلاءم مع ظروف العالم الجديد ، ولكن النظام الامثل الذى وضعه الاسلام نظام عملى نجح تطبيقه فى قرون وأجيال كان المجتمع الاسلامى فيها يسير شؤون اقتصاده على احسن ما يكون بدون ربا فسارت فى صدر دولة الاسلام واضحت هذه الدولة فى طليعة الامم المتسابقة فى مضمار التمدن والحضارة .

ولنفرض جدلا أن تحريم الربا يعوق الصفقات والمشروعات فهو يعوضها احسن تعويض اذ يمنع الحروب التى لا تجلب للعالم الا الشقاء والدمار — تلك الحروب التى لا يوقد نارها ويشعل اوارها الا الديون والقروض الربوية .

ثم ان ربح رؤوس الاموال التى لا تسير الاعمال الا بها هو فى الواقع حالة يشترك فيها العمل وراس المال وهذه المشاركة معقولة ومشروعة — فان النظام الاجتماعى فى الاسلام يقرر ان راس المال والعمل يجب أن يشتركا معا فى الربح والخسارة — وأما دفع فائدة ثابتة مضمونة فمعناه أن راس المال يربح دائما وان كان العمل يخسر دائما — وهذا ظلم فادح وتعد واضح .

ولذلك وجب أن يقوم نظام البنوك العام على اسس تعاونية لا على اسس استبدادية واذا قامت على ذلك فهى نعمة عظمى ، وخدمة كبرى للبشرية جمعاء ، وذلك ان المصرف فى نظامه المالى شىء مهم للغاية ، ولكن الشىء الوحيد الذى حول النظام المصرفى الى سيئة تخل بالتمدن الانسانى هو الربا وحده ، والربا كلمة تملأ الما فهى شر وينضم الى هذا الشر شر آخر وهو أن الثروة التى تنهال على البنوك من كل بيت طمعا فى الربا تنقلب الى ثروة يملكها قلة من المساهمين فهم الذين يصرفونها حسب اهوائهم ويستبدون بادارتها

ورواجها تبعا لمصالحهم فلو زالت هاتان السيئتان لكان المصرف الحالى نعمة ورحمة — ولنفرض ايضا أن الدولة سنت قانونا يلغى فوائد المال فى البنوك والشركات والاستقراضات الشخصية فماذا سيقع آنذاك — كل ما يقع هو أن اصحاب رؤوس الاموال لا يجدون امامهم لتنمية أموالهم الا طريقين : الطريق الاول أن يستثمروها بأنفسهم فى صناعة او تجارة — والطريق الثانى : أن يستثمروها عن طريق التعاون فى شركات مساهمة تربح اسهمها أو تخسر — وكلا الطريقين يقره الاسلام ولا تخسر بهما الحياة الاقتصادية شيئا ·

وربما يقال انه يخشى أن ينصرف المولون عن ايداع اموالهم فى البنوك — والبنوك هى التى تمول المشروعات الضخمة فى الغالب — وهذا حقا خطر يهيمن على النفوس ولكنه خطر وهمى لا يلبث أن يزول عند ما تصح الارادات وتعتدل العزائم على الغاء نظام الفائدة — فهناك أولا الميل الفطرى الى تنمية المال وهو لا ينمو الا باستغلاله على وجه من الوجوه السابقة · وهذا الميل الطبيعى خير ضمان لعدم حبس رؤوس الاموال — وهناك ثانيا أن تسن الدولة تشريعات لبعض انواع الصناعات تحتم فيها ان لا يرخص باقامة مشروع منها الا براس مال حده الادنى كذا وكذا ، وعندئذ تتجمع رؤوس الاموال بالمساهمة ، وتخضع لحكم الربح والخسارة فلا تبقى حاجة الى البنوك غير بنوك الاصدار والتحويل — واذا شاءت البنوك ان تربح فما عليها الا ان تساهم بأموالها وأموال المودعين فيها بعلمهم ورضاهم فى مشروعات استغلالية وخاضعة للربح والخسارة — ولن يمنع هذا تدفق رؤوس الاموال لان رؤوس الاموال انما تستغل فى المشروعات ·

واما الفائدة المضمونة التى لا يطرا عليها اى طارىء فهى ربا لا شك فيه ، وكل ربا فلا خير فيه وشركات التأمين فى امكانها أن تصبح كذلك مؤسسات اسلامية بأن تجعل الاموال المودعة فيها قابلة للربح والخسارة ، والنقص والزيادة ، فتشغل رؤوس الاموال فى مشروعات انمائية وتدفع لكل مؤمن فيها مبلغا يزيد على ما دفعه أو ينقص ، — وتخصم من المودعين مقدار ما خسرت بحسب نسبة أموالهم وبذلك يصبح المولون جماعة تعاونية يدفعون من مالهم كله للمنكوب منهم عند نكبته ، وينالون جميعا نوعا من الآمال ينتفعون به عند الضرورة والحاجة ويجرى هذا الاجراء نفسه على صناديق التوفير فيستحيل جميعها مؤسسات تعاونية تستغل أموالها فى مشاريع متجهة قابلة للربح والخسارة وليس لها فائدة ثابتة وكل ما تحصل عليه الشركات من الارباح يوزع بين المساهمين والمودعين على حسب النسبة المتفق عليها بعد ان تؤخذ جميع التكاليف الادارية .

وبذلك ان شاء الله ينجو المسلم من وصمة الربا — وتضطر جميع رؤوس الاموال الى العمل المجدى النافع طلبا للربح والنماء ·

والقول بأن الربا ضرورة لا فكاك منها ولا خلاص فى النظام الاقتصادى قول يكذبه الواقع فى هذا العصر الحديث نفسه وها هو النظام الشيوعى امكن له أن يقوم على اساس غير ربوى ، نسأله سبحانه ان يبصرنا بمحاسن نظامنا ويوفقنا الى سدادنا ورشادنا — فان الله سبحانه وهو الرحمن الرحيم وضع لعباده من الانظمة والاحكام ما يربيهم على التراحم والتعاطف وعلى أن يكون كل منهم عونا وردءا للآخر لا سيما اذا عضه الزمان بنابه ، وخيم الافقار ببابه او سدت عليه الطرق وعميت عليه المذاهب وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : من نفس عن مومن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة — ومعلوم أن للقروض التى يقصد بها سد حاجة المقترض مقاما مرفوعا وثوابا مسموعا — ولذلك حرم الله على عباده الربا الذى هو استغلال ضرورة اخوانهم — واحل البيع الذى لا يختص الربح فيه بأكل الواجد مال الفاقد وجعل سبحانه البيع والتجارة عاملا قويا من عوامل التمدن والبناء·

وكما حرم الله قصد استغلال النقدين لانهما كما قال الامام الغزالى رحمه الله انما خلقا ليكونا ميزانا لتقدير قيم الاشياء التى ينتفع بها الناس ولا غرض فى عينهما — حرم ايضا احتكارهما واختزانهما لان ذلك ظلم صراح وانما وظيفتهما

التحرك والتصرف ليتحرك الناس ويتقوى الانتاج — وحرم أيضا اتخاذهما أوانى لان ذلك امتهان لهما باستعمالهما فى غير وظيفتهما · وكل من النحاس والرصاص وغيرهما ينوب عنهما فى حفظ المائعات وشبه المائعات ·

ويتكشف معنى التحريم من حديث الامام مسلم : من شرب فى آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم ·

فتحريم الربا هو عين الحكمة والرحمة والمصلحة ·

واباحة الربا من اكبر ما يفسد الاخلاق ، ويشتت الاجتماع ، لانه يزيد فى ضراوة الناس وقساوة قلوبهم ويجعلهم ماديين لا هم لهم الا الاستكثار وعبادة الدرهم والدينار وبذلك تتجمع الثروة فى جهة اقلية وتضطر ان تسير وراءها الاكثرية وذلك ما يؤدى الى غضب العمال ، وتألبهم على أصحاب الاموال ولذا تراهم يعتصبون الفينة بعد الفينة ، ويتسببون فى الضياع وتعطيل العمل ·

واذا كان المفتونون بهذه المدنية المغربة ينكرون على دينهم تحريم الربا من دون تفهم ولا تعمق ويظنون أن التحريم ضار بالناس وعائق عن التنمية فسيأتى يوم يعترف فيه المفتونون أنفسهم ان ما جاء به الاسلام هو النظام الذى لا تتم السعادة الا به ·

وكل ما سطرنا فانما هو فى الربا الصريح — وأما الذرائع الربوية القائمة على مجرد التهمة وهى التى يسميها الفقهاء : (ببيوع العينة والآجال) فانها من الشبهات التى قد تؤدى الى المحرمات ومن هنا يقولون : الشبهة اخت الحرام ، والعادة اخت الطبيعة الا انها تتغير لتغير الاجيال والاحوال ولا يسترسل تحريمها على الدوام عند القائلين بها من ائمة الاسلام ·

هذا وقد قام خلاف بين أهل العلم فى الفلوس والاوراق المتعامل بها هل يمنع الربا بينها وبين النقدين نظرا الى أن المبيع هو الفضة أو الذهب والسندات تقوم مقامها فى معاملة البيع والشراء وغيرهما فيكون فى ذلك صرف ذهب موجود أو فضة موجودة بذهب غائب أو فضة غائبة ولا تكفى الحوالة عليهما بل لا بد من قبضهما قبضا حقيقيا وفعليا — أولا يمنع نظرا الى أن ذلك بمثابة عروض التجارة — والى ان الفلوس لا تكون ثمنا فى كل بلد فيجوز الفضل والنسأ ، وهذا ما رجحه بعض العلماء وصدر به الافتاء وهو ما يتجه اليه النظر ويستدفع به الحرج·

وبعد فقد استبان من هذا العرض السريع المتواضع — ان قوام الحياة وعصب الدولة هو العمل والمال على اساس المعرفة والبصيرة — وان نظام الربا نظام ملعون لا يقبله الاسلام بحال ، لما يحدثه فى المجتمع من ضراوة وقساوة واستغلال ، ولما يتبعه من فساد وانحلال ولما ينبنى عليه من المحادة والمعارضة لله — ولرسوله — وقد آذن سبحانه من لم يدع الربا بحربه وحرب رسوله فقال « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » وهذه الحرب يمكن أن تكون حرب الفزع والقلق والفقر والخصاص والتعسف والشقاء وسائر أنواع الفتن والبلاء ، بمعنى ان جو الحياة جو مخيف لا يسوده استقرار ولا اطمئنان وقد تكون حربا شرعية بأن يحارب المرابون وتصادر أموالهم ويضرب فيها على أيديهم وقد تكون حرب السلاح الساحق الماحق كما قال تعالى : « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » وهذه هى التى تدور بين الامم والشعوب بسبب الاطماع الربوية والاغراض الشيطانية — وكل حرب فانما تكون نتيجة للظلم والكفر والفساد وسوف ينبئنا المستقبل عن مفاجآت ومباغتات لا عهد للانسان بها اذا اصطدمت القوتان والتقت الفئتان ، نعوذ بالله من فتنة الشر والمال وفتنة الشهوات فى الاعمال ونسأل الله جل وعلا أن يحفنا بالطافه ويؤمننا من عذابه ويكشف عنا ما كان من تطاول الاخلاف وتحامل الاصناف ، والله على كل شىء قدير والسلام عليكم ورحمة الله ·

بناء الحكم على العرف والعوائد

بقلم العلامة المرحوم محمد السائح

رايت كثيرا من الناس يتناول ما فى كتاب الفروع والنوازل على انه فقه صالح لكل زمان ، ومنطبق على كل حادثة فى اى اوان من غير التفات الى ما كان من النصوص مبنيا على عادة حكمت ، او مصلحة اعتبرت ، او لسد ذريعه تنوسيت واغفلت ، وما هو سبب خاص قد زال وما هو فى قضية عينية كان ذلك فيها هو مقتضى الحال، على ان كثيرا من الروايات ورد على موضوع مخصوص ، يجب ان يقصر عليه ، ويساق حديثه اليه ، واخذ النصوص مع قطع النظر عن مواردها من الخطأ العظيم فى الدين ، وانظر الى ما ذكروه فى شروط العمل بالعمل مما هو منظوم فى قول القائل :

« والشرط فى عملنا بالعمل
ثبوته عن ثقة مؤهل
معرفة الزمان والمكان
وجود موجب الى الاوان » .

ولقد كان اهل العلم رضى الله عنهم يبحثون عن سبب ورود الحديث ، كما يبحثون عن اسباب النزول وليهتدوا بذلك الى مواقعه والمراد منه، وقصارى القول انه لا يجوز للقاضى والمفتى ان يكتفى من المنقول بمجرد المفهوم والمدلول بل لابد له من معرفة كاملة واصلاح تام ليقف على مقاصد الايمة ، والغايات التى تضمرها افكارهم ، وترمى اليها انظارهم لذا رايت ان اجمع بهذا التقييد ما تيسر الوقوف عليه من النصوص المصرحة بوجوب مراعاة الاعراف المختلفة ، وامعان النظر فى تطبيق الروايات على النوازل المتجددة ، حتى يكون الناظر فيها وضع البناء موضع النقب ، والشاة صدر الدست ....

وسميته نجعة الرائد فى ابتناء الحكم والفتوى على المقاصد والعوائد .

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مقدمة وجيزة فى الكلام على العرف

العرف غلبة معنى من المعانى على جميع البلاد او بعضها ، وهو معمول به فى الشرع لقوله تعالى « وامر بالعرف ، وقوله سبحانه ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وقوله صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة زوج ابى سفيان حين قالت له عنه : انه مسيك لا يعطيها ما يكفيها وولدها ... خذى من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف اى المعتاد من النفقة عند الناس . اخرجه البخارى وغيره وقالت عائشة رضى الله عنها لو راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد اخرجه مالك والبخارى رحمهما الله وقال شريح سنتكم بينكم اورده البخارى ايضا وفى الاحكام لابن العربى لدى قوله تعالى وان تعاسرتم فسترضع له

اخرى (الآية) فى المسألة الرابعة فى تقدير الانفاق قال قد بينا انه ليس له تقدير شرعى ، وانما احاله الله سبحانه على العادة ، وهى دليل اصولى بنى الله عليه الاحكام وربط به الحلال والحرام ، وقد احالّه الله على العادة فيه ، فقال « فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم» ، وقال«فاطعام ستين مسكينا»وقد تكلمنا عليه فى موضعه هـ و فى جمع الجوامع وان العادة محكمة وفى الاحكام ايضا العرف والعادة اصل من اصول الشريعة يقضى به فى الاحكام هـ ثم ان محل العمل به ما لم يخالف دليلا شرعيا والا وجب نبذه والعمل بالشريعة لانها لا تنسخ به ، وقد انكر العلامة الامير تقييد الونشريسى ومتبوعه الابن فى الجمع ليلة المطر بما اذا لم يجر العرف بتركه فى موضع كالجامع الاعظم بتونس وجامع القرويين والاندلس بفاس وقال انما يحكم العرف فى امور المعاملات ولا ينسخ له سنة وقد جمع صلى الله عليه وسلم وهو صاحب الشرع هـ . كلامه وهو حسن الا ان ما ذكره من الحصر غير صحيح كما تعلمه مما يأتى :

المواضع التى يحكم فيها العرف

هى الاحكام الفرعية التى وكل الشارع امرها الى العرف كمعرفة اسباب الاحكام من الصفات الاضافية كصغر ضبة الفضة وكبرها ، وغالب الكثافة فى اللحية، وناذر العذر ودائمه ، وطول الفصل فى السهو وقصره، وقرب منزله وبعده ، وكثرة فصل او كلام وقلته فى الصلاة ، وثمن المثل ، ومهر المثل وكفؤ نكاح ، وكتقدير نفقات الزوجات والاقارب ، وكسوتهم وما يختص به الرجال عن النساء ومتاع البيت ، وما يختص به النساء عن الرجال وكالرجوع اليه فى المقادير كالحيض والطهر ، واكثر مدة الحمل وبين اليأس ، وكالرجوع اليه فى فعل غير منضبط ، تترتب عليه الاحكام كاحياء الموات ، والاذن فى الضيافة ودخول بيت قريب ، وتبسط مع صديق ، وما يعد قبضا وايداعا ، وهدية وغصبا وحفظ وديعة ، وانتفاعا بعارية ، وكالرجوع اليه فى امر مخصص كالفاظ الايمان والوقف والوصية والتفويض ومقادير المكاييل والموازين والنقود وغير ذلك هـ من الفتح بتصرف حسن وفى لامية الزقاق .

بيـــان وتخصيـــص وتفسير مبهـــم
شـهيد وتقييـــد لعـــرف جرى حـــلا
به الحكم والفتوى فان صح ماجرى
من العـــرف فاحكم ناظرا ومنخـــلا

وفى العمليـــات

اعتبـــر الاعـــراف فى الفتوى وفـــى
الحكـــم لكـــن بانتفالهـــا قفـــى

وفيها ايضـــا

وروعـــى المقصـــود فى الاحبـــاس
لا اللفـــظ فى عمـــل اهل فـــاس

والنصوص فى هذا المعنى متواترة متطابقة وفى مبحث القضاء بقول المدعى لرجحانه بالعوائد ، وفى فصل القضاء بالعرف والعادة ، وفى تبصرة ابـــن فرحون فوائد نفيسة فى هذا الموضوع وتنبيهات الاول اختلفوا هل يتنزل العرف منزلة الشاهد الواحد ، وعليه فلا يعتبر فيما لا يثبت الا بشاهدين ويحلف معه من شهد له فيما يثبت بالشاهد واليمين ، او ينزل منزلة الشاهدين ، والاول المشهور وعليه قول التحفة

وها هنا عـــن شاهد قـــد يغنـــى
ارخـــاء ستـــر واحتيـــاز رهـــن

وقول اللامية (وكملا بالحاق ذى عرف صحيح) والمسئلة على طرف التمام (الثانى) اذا تعـــارض العرف والاصل قدم العرف ، قال ابن عبد السلام اذا تعارض الاصل والغالب ، فالحكم للغالب ، والغالب والعرف مترادفان ، كدعوى الزوج على ولى الامة انه غره بحريتهافالاصل عدم الغرر والغالب عدم رضى الزوج بنكاح الامة ، فالقول له وكدعوى الزوجة على زوجها الحاضر عدم الانفاق فهى متمسكة بالاصل وهـــو الغالب ، فالقول له ، وكدعوى العبد الحوز بالملك انه حر فهو مدع للاصل مخالف للعرف ، وفى ذلك يقول ابن عاصم فى مرتقى الوصول

وغالـــب ان عارض الاصل رجـــح
وقيـــل عكســـه والاول اصـــح

نعم يستثنى من هذا الاصل مسائل الم القرافى بعشرين منها فى الفرق التأسع والعشرين بعد المائتين فراجعه (الثالث) العادة تنزل منزلة الشرط المدخول عليه ، وقد بنوا على ذلك عدة احكام فى عدة ابواب (الرابع) ذكروا انه ينبغى فى القاضى ان يكون بلديا ليجرى الناس على اعرافهم وعوائد بلدهم ، قال ابن رشد من خصال القاضى المستحبة ان يكون بلديا وكذا المفتى ففى كتاب الاحكام للقرافى رحمه الله ما نصه ينبغى للمفتى اذا ورد عليه مستفت لا يعلم انه من اهل البلد الذى منه المفتى وموضع الفتيا فلا يفتيه بما عادته يفتى به حتى يسأله عن بلده ، وهل حدث لهم عرف فى تلك البلد فى هذا اللفظ اللغوى ام لا وان كان اللفظ عرفيا فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد فى عرفه ام لا ، وهذا امر متعين واجب لا يختلف فيه العلماء ، وان العادتين متى كانتا فى بلدين ليستا سواء كان حكمهما ليس سواء ، انما اختلف العلماء فى العرف واللغة هل يقدم العرف على اللغة ام لا ، والصحيح تقديمه لانه ناسخ ، والناسخ مقدم على المنسوخ اجماعا ، فكذلك هاهنا ه منه بلفظه قال فى التبصرة اثرما نقله أيضا (تنبيه) ونقلت من الرحلة لابى عبد الله بن راشد فمن حلف بالايمان اللازمة وحنث هل يلزمه الطلاق الثلاث او واحدة ، ثم قال والمعتبر فى ذلك عرف الحالف لا عرف المفتى فلو دخل المفتى بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به الطلاق الثلاث لم يجز له ان يفتى فيه بذلك ، ولا يحل ان يفتى بما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف ولو تغير العرف لتغير الجواب وهذا من الامر المهم معرفته ه وهذا يعضد كلام القرافى مع كلام التبصرة ، واذا انتهينا الى هنا فلنسق من النصوص ما هو شاهد لموضوع التقييد قال ابن عبد السلام ، اكثر العلماء لا يقول بسد الذرائع ولا سيما فى البيع ، وقد علمت ان المنع فى البيع والسلف انما نشأ من اشتراط السلف نصا وبيوع الاجل لا نص فيها ، باشتراط ان البائع يشترط السلعة التى باع ، وانما هو امر يتهمان عليه ، ويستند فى تلك التهمة الى العادة ، ثم قال وهب ان تلك العادة وجدت فى قوم فى المائة الثالثة بالمدينة او بالحجاز فلم قلتم انها وجدت بالعراق والمغرب فى المائة السابعة ثم قال وانا اتوقف فى الفتيا فى هذا الباب وفيما اشبهه من الابواب المستندة الى العادة بما فى الكتب لان الذى فى الكتب من المسائل لها فتوى من الستر وتلك العوائد التى هى شرط فى تلك الاحكام لا يعلم حصولها الآن ، والشك فى الشرط شك فى المشروط ، ومن الذخيرة (قاعدة) كل حكم مرتب على عرف او عادة يبطل عند زوال تلك العادة ، فاذا تغير تغير الحكم ه نقلها المواق ومن كتاب الاحكام فى تمييز الفتاوى عن الاحكام ، فى السؤال التاسع والثلاثين ، ما نصه ، ان اجراء الاحكام التى تدركها العوائد مع تغير تلك العوائد ، خلاف الاجماع وجهالة فى الدين ، بل كل ما فى الشريعة يتبع العوائد ويتغير الحكم فيه عند تغير العادة الى ما تقتضيه العادة المتجددة ، وليس تجديد الاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه اهلية الاجتهاد بل هذه قاعدة اجتهد فيها من غير استيناف اجتهاد ، الا ترى انهم لما اجمعوا على ان المعاملات اذا اطلق فيها الثمن يحمل على غالب النقود فاذا كانت العادة نقدا معينا حملنا الاطلاق عليه ، فاذا انتقلت العادة الى غيره عينا ما انتقلت العادة اليه ، والغينا الاول . لانتقال العادة عنه ، وكذلك الاطلاق فى الوصايا والايمان وجميع ابواب الفقه المحمولة على العوائد اذا تغيرت العادة تغيرت الاحكام فى تلك الابواب ، وكذلك الدعاوى اذا كان القول قول من ادعى شيئا لانه العادة ، ثم اذا تغيرت العادة لم يصر القول قول المدعى بل يعكس الحال فيه ، بل ولا يشترط تغيير العادة بل ولو خرجنا نحن من تلك البلد الى بلد آخر ، عوائدهم على خلاف عادة البلد الذى كنا فيه وكذلك اذا قدم علينا احد من بلد عادته مضادة للبلد الذى نحن فيه لم نفته الا بعادة بلده دون عادة بلدنا ، ومن هذا الباب ما روى عن مالك اذا تنازع الزوجان فى قبض الصداق ببعد الدخول فان القول قول الزوج مع ان الاصل عدم القبض ، قال القاضى اسماعيل هذه كانت عادتهم بالمدينة ، ان الرجل لا يدخل بامراته حتى تقبض جميع صداقها واليوم عادتهم على خلاف ذلك فالقول قول المراة مع يمينها لاجل اختلاف العوائد انظره وفى الفروق له فى (الفرق الثانى ، بعد

كلام ، فاذا احطت به علما ، ظهر لك الحق فى هذه الالفاظ ، وهو انا لا نجد احدا فى زماننا يقول لامراته عند ارادة تطليقها حبلك على غاربك ، ولا انت برية ، ولا وهبتك لاهلك هذا لم نسمعه قط من المطلقين ، ولو سمعناه وتكرر ذلك على سمعنا ، لم يكف ذلك فى اعتقادنا ان هذه الالفاظ منقولة كما تقدم تقريره ، واما لفظ الحرام فقد اشتهر فى زماننا فى اصل ازالة العصمة فيفهم من قول القائل انت على حرام او الحرام يلزمنى انه طلق امراته اما انه طلقها ثلاثا فانا لا نجد فى انفسنا انهم يريدون ذلك فى الاستعمال ، هذا قوله فيما يتعلق بمصر والقاهرة فان كان هناك بلد آخر تكرر الاستعمال عندهم فى الحرام او غيره من الالفاظ فى الطلاق الثلاث حتى صار هذا العدد هو المتبادر من اللفظ فحينئذ يحسن الزام الطلاق الثلاث بذلك اللفظ ، واياك ان تقول :

انا لا نفهم منه الا الطلاق الثلاث لان مالكا رحمه الله قاله او لانه مسطور فى كتب الفقه لان ذلك غلط بل لابد ان يكون ذلك الفهم حاصلا لك من جهة الاستعمال والعادة كما يحصل لسائر العوام كما فى لفظ الدابة والبحر فالفقيه والعامى فى هذه الالفاظ سواء فى الفهم لا يسبق الى افهامهم الا المعانى المنقول اليها فهذا هو الضابط لا فهم ذلك من كتب الفقه فان النقل انما يحصل باستعمال الناس لا بتسطير ذلك فى الكتب بل المسطر فى الكتب تابع لاستعمال الناس فافهم ذلك واذا تقرر ذلك فيجب علينا امور احدها ان نعتمد ان مالكا وغيره من العلماء انما افتوا فى هذه الالفاظ بهذه الاحكام لان زمانهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هذه الالفاظ للمعانى التى افتوا بها فيها صونا لهم عن الزلل ، وثانيها انا اذا وجدنا زماننا عريا عن ذلك ، وجب علينا ان لا نفتى بتلك الاحكام فى هذه الالفاظ لان انتقال العوائد يوجب انتقال الاحكام كما نقول فى النقود وفى غيرها ، فانا نفتى فى زمان معين بان المشترى تلزمه سكة معينة من النقود عند الاطلاق لان تلك السكة هى التى جرت العادة بالمعاملة بها فى ذلك البلد فى ذلك الزمان . فاذا وجدنا بلدا آخر وزمانا آخر يقع التعامل فيه بغير تلك السكة ، تغيرت الفتيا الى السكة الثانية وحرمت الفتيا بالاولى ، لاجل تغير العادة ، وكذلك القول فى نفقات الزوجات والذرية والاقارب وكسوتهم تختلف بحسب العوائد وتنتقل الفتوى فيها ، وتحرم الفتوى بغير العادة الحاضرة ، وكذلك تقدير العوارى بالعوائد ، وقبض الصداق عند الدخول او قبله او بعده فى عادة ، نفتى ان القول قول الزوج فى الاقباض لانه العادة ، وتارة بان القول قول المراة فى عدم القبض اذا تغيرت العادة او كانوا من اهل بلد تلك عادتهم ، وتحرم الفتيا لهم بغير عادتهم ، ومن افتى بغير ذلك كان خارقا للاجماع ، فان الفتيا بغير مستند مجمع على تحريمها ، وكذلك التلوم للخصوم فى تحصيل الديون للغرماء وغير ذلك مما هو مبنى على العوائد مما لا يحصى عدده متى تغيرت فيه العادة تغير الحكم باجماع المسلمين وحرمت الفتيا بالاول ، وفى الفرق الثامن والعشرين منه ايضا بعد كلام ، لان الاحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيف دارت وتبطل معها اذا ابطلت كالنقود فى المعاملات والعيوب فى العروض فى البياعات ونحو ذلك فلو تغيرت العادة فى النقد والسكة الى سكة اخرى لحمل الثمن فى البيع عند الاطلاق على السكة التى تجددت العادة بها دون ما قبلها وكذلك اذا كان العيب فى الثياب فى عادة رددنا به المبيع فاذا تغيرت العادة وصار ذلك المكروه محبوبا لزيادة الثمن لم ترد به ، وبهذا القانون تعتبر جميع الاحكام المرتبة على العوائد ، وهو تحقيق مجمع عليه من العلماء لا خلاف فيه بل قد يقع الخلاف فى تحقيقه ، هل وجد ام لا وعلى هذا التحرير يظهر ان عرفنا اليوم ليس فيه الحلف بصوم شهرين متتابعين فلا تكاد تجد احدا بمصر يحلف به فلا ينبغى الفتيا به وعادتهم يقولون عبدى حر وامراتى طالق وعلى المشى الى مكة وما لى صدقة ان لم افعل كذا فتلزم هذه الامور على هذا القانون تراعى الفتاوى به على طول الايام فمهما تجدد عرف اعتبره ومهما سقط اسقطه ولا تجمد على المسطور فى الكتب طول عمرك بل اذا جاءك رجل من غير اهل اقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك ، واساله عن عرف بلده واجره عليه ، وافته به دون عرف بلدك ، والمقرر فى كتبك ، فهذا هو الحق الواضح والجمود على المنقولات ابدا ضلال فى الدين ، وجهل بمقاصد علماء المسلمين ، والسلف الماضين ، وعلى

هذه القاعدة تتخرج ايمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات ، فقد يصير الصريح كناية يفتقر الى النية وقد تصير الكناية صريحا مستغنية عن النية ، وكما نقل الهلالى فى شرح المختصر كلام القرافى المذكور ، انفا ، قال ومن امثلة هذا القانون مسائل اختلاف المتبايعين فى قبض العوضين ، وفى الصحة وضدها ، وغير ذلك ، ومسائل التناول فى المبيعات ، ومسائل التهمة فى بيوع الآجال ، ومسائل المرابحة ومدلولات الالفاظ فى الايمان ، وغير ذلك الا ترى ان المنصوص عليه فى المدونة وغيرها فى لفظ اليمين عند عدم النية ان اللازم فيها كفارة يمين بالله فقط والذى به الفتوى هو لزوم الطلاق ، وما ذلك الا لان السلف حملوها على اليمين الشرعية اذ لم يكن فى عرفهم ارادة الطلاق ؛ بلفظ اليمين والعرف المطرد الان ارادة الطلاق بها (انظره) والى ذلك يشير صاحب العمل بقوله (وفى اليمين طلقة رجعية ، اذ هى قد حصلت الماهية) افتى به والدنا كالقصار ، والى مؤلف كتاب المعيار ، ومن فتوى سيدى عبد القادر الفاسى التى احال عليها الفاظ اليمين اصله فى اليمين بالله ، لكن عرف الناس فى هذه الاعصار وفيما قبلها صرفه لعصمة الزوجة فيعمل على مقتضاه ، لان الايمان ابدا دائرة مع عرف الحالف او بلده ، وتختلف الفتاوى باختلاف الاعراف والعادات، وفى اوائل نوازل الاحباس من المعيار اثناء جواب لسيدى عبد الله العبدوسى ما نصه ، ينبغى للمفتى ان ينظر فى مقاصد الناس ومقتضى خطاباتهم فيبنى عليها الحكم ويرتب عليها الجواب وكل من ينظر الى الروايات فيفتى فيما تختلف فيه الاحكام باختلاف المقاصد والعوائد فقد اخطا وكان ذلك منه فسقا ان عنى ذلك وقصده هـ ومن جواب لابن منظور ما نصه لاشك ان احكام الاقضية والفتاوى تتبع عوائد الزمان وعرف اهلها وفى نوازل الجهاد منه بعد كلام « اذا الحكم فى القضايا والفتيا فى النوازل يختلف كثيرا ويحسب العوائد والحال الحاضرة ، وفيه ايضا قال اهل العلم ان الفتوى فى المسائل الفقهية تكون بحسب النازلة والحال الحاضرة فيوخذ فى بعض القضايا ببعض الاقوال دون بعض من غير خروج على المذهب ، وفى نوازل العلامة الوزانى ان الواجب على القاضى والمفتى النظر الىّ جزئيات المسائل فى كل نازلة والى العوائد والاعراف لانه اسلوب معتاد فى الشريعة فلا يعتمد فى جميع النوازل على فقه مجمل بل لابد من النظر فى الصور الجزئية وما اشتملت عليه من الاوصاف الكلية ، وقد طرق هناك هذا الموضوع فى عدة مباحث ، وكذا ايضا صاحب البهجة فى مواضع فى الدماء وغيرها ، والشيخ الرهونى فى مبحث تنازع الزوجين ، وراجع ايضا مالهم فى تمازير الجناة ، عند عدم التمكن من اقامة الحدود ، ولسيدى العربى الفاسى فى ذلك تاليف اورده ابو حفص فى شرح اللامية . قال الولاتى فى شرح مرتقى الوصول ، مبحث الكلام على العرف والعادة ، ومتى انتقل العرف فى هذه المسائل تبعه الحكم ، وحكى المقرى على ذلك الاجماع هـ وقال ايضا : مبحث الافتاء واما كتب النوازل فلا يجوز لهم الافتاء بها لان الغالب فيها فتاوى المتاخرين ، التى لا نص فيها للاقدمين وتلك لا تكون مبنية الا على مصلحة مرسلة ، أو عادة محكمة ، او سد ذريعة الى مفسدة ، ونحو ذلك فلا يجوز الافتاء بها الا لمن نظر فى اصولها المبنية عليه فاذا كان باقيا افتى بها ، واذا ارتفع رماها ، والتمس للنازلة حكما باجتهاده (انظره ، وقال البساطى على قول مالك رحمه الله فى اهل الذمة ارى ان توضع عنهم اليوم الضيافة والارزاق لما حدث عليهم من الجور ، واعلم انه لا يوخذ قول الايمة مع قطع النظر عن المقاصد لانه اذا انتفى الظلم ، وكانوا هم الظلمة ، كما فى نصارى مصر فالواجب ان يغلظ عليهم ، وان يزاد على ما كان مقررا عليهم هـ نقله الدسوقى فى الجزية وفى شرح الزرقانى للموطا على قول عائشة لو ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء الخ ما نصه واستنبط من قول عائشة ايضا انه يحدث للناس فتاوى بقدر ما احدثوا كما قال مالك ، وليس هذا من التمسك بالمصالح المباينة للشرع كما توهمه بعضهم ، وانما مراده كمراد عائشة ان يحدثوا امرا تقتضى اصول الشريعة فيه غير ما اقتضته قبل حدوث ذلك ، ولا غرو فى تبعية الاحكام للاحوال هـ ومن مسامرة الاستاذ محمد الخضر بن الحسين التونسى

نشرتها مجلة (البدر) التونسية بالجزء الثامن ما نصه ومن وفاء الاسلام بحق المصالح ان جعل للعرف والعادة اعتبارا فى تفاصيل الاحكام على ما يبنيه الشارع على رعاية حال مستمرة وسبب لا ينقطع ، فيتعين العمل به فى كل مكان وزمان كالمنع من الربا ومطالبة المدعى بالبينة ومنها ما يبنيه على رعاية احوال تتغير وعادات تتجدد وهذا النوع من الاحكام لا يلزم طرده فى كل عصر ولا اجراؤه بكل موطن ، بل يجرى العمل فيه على مايقتضيه العرف السائر بين الناس، قال شهاب الدين القرافى فى قواعده ان الاحكام تجرى مع العرف والعادة ، وينتقل الفقه بانتقالها ومن جهل المفتى جموده على النصوص فى الكتب ، غير ملتفت الى تغير العرف ، فان القاعدة المجتمع عليها ان كل حكم مبنى على عادة اذا تغيرت العادة تغير الحكم والقول باختلاف الحكم عند تبدل الاحوال والعادات لا يستلزم القول بتغيره فى اصل وضعه والخطاب به كما توهمه بعضهم ، وانما الامر تدعو اليه الحاجة عند قوم او فى عصر فيكون مصلحة تتناوله دلائل الطلب فان لم تقتضه عادتهم ولا تعلقت به مصلحتهم دخل تحت اصل من اصول الاباحة او التحريم .

وممن حقق ان فى احكام الشريعة ما يجرى بحسب اختلاف الزمان كشهاب الدين القرافى ، حيث قال ان التوسعة على الحكام فى الاحكام السياسية ليس مخالفا للشرع بل تشهد له القواعد ، ومن جملتها ان ان الفساد قد كثر وانتشر بخلاف حاله فى العصر الاول ، ومقتضى ذلك اختلاف الاحكام بحيث لا تخرج عن الشرع ، ويوافق هذا القول عمر بن عبد العزيز تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور وقول عز الدين بن عبد السلام تحدث للناس احكام بقدر ما يحدثون من السياسات والمعاملات والاحتياطات ، فهم يحدثون اسبابا فتستدعى احكاما تنتزع لها من دلائل ، ومن هنا الزم ان يكون المقرر لاحكام السياسة وغيرها ممن اوتى العلم بقوانين الشريعة والفهم الراسخ فى مداركها حتى لا يخرج فى تقديره عن الرسوم المطابقة لمقاصدها ه وقال الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى الحبل الوثيق ، ان المفتى حكمه حكم الطبيب ينظر فى الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان فالمفتى طبيب الاديان ، وذلك طبيب الابدان وقد قال عمر بن عبد العزيز تحدث للناس احكام بحسب ما احدثوا من الفجور قال السبكى ليس مراده ان الاحكام الشرعية تتغير بتغير الزمان بل باختلاف الصور الحادثة فانه قد يحصل بمجموع امور لا يحصل لكل واحد منها ، فاذا حدثت صورة على صفة خاصة علينا ان ننظر فيها فقد يكون مجموعها يقتضى الشرع له حكما خاصا اه وقال السبكى ايضا فى فتاويه ما معناه يوجد فى فتاوى المتقدمين من اصحابنا اشياء لا يمكن الحكم عليها بانها المذهب فى كل صورة لانها وردت على وقائع فلعلهم راوا ان تلك الوقائع يستحق ان يفتى بها بذلك ولا يلزم اطراد ذلك واستمراره الخ وفى كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزى رحمه الله فى نقد مسالك الصوفية فى الغناء والسماع وانما ينبغى للمفتى ان يزن الاحوال كما ينبغى للطبيب ان يزن الزمان والسن والبلد ، ثم يصف على مقدار ذلك (انظره) ، وفى كشف الظنون فى بحث الاحتساب ما نصه وفائدته اجراء امور المدن فى الاحوال على الوجه الاتم ، وهذا من ادق العلوم ولا يدركه الا من له فهم ثاقب وحدس صائب اذ للاشخاص والازمان والاحوال سياسة خاصة ، وذلك من اصعب الامور فلذلك لا يليق بمنصب الاحتساب الا من له قوة قدسية مجردة عن الهوى كعمر بن الخطاب رضى الله تعلى عنه كان عالما فى هذا الشأن (انتهى) وقال الحافظ شمس الدين بن القيم الحنبلى فى اعلام الموقعين ، (فصل) فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة التى فى اعلى رتب المصالح لا تأتى به ، فان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسئلة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه

وظله فى ارضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسله صلى الله عليهم وءالهم وسلم اتم دلالة واصدقها ، وهى نوره الذى به ابصر المبصرون وهداه الذى به اهتدى المهتدون وشفاؤه التام الذى به دواء كل عليل . وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل فهم قرة العيون ، وحياة القلوب ولذة الارواح فهى بها الحياة ، والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير فى الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها وكل نقص فى الوجود فسببه من اضاعتها ولولا رسوم قد بقيت لخرجت الدنيا وطوى العالم وهى العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والارض ان تزولا فاذا اراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع اليه ما بقى من رسومها ، فالشريعة التى بعث الله بها رسوله هى عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة فى الدنيا والاخرة ونحن نذكر تفصيل ما اجملناه فى هذا الفصل بحول الله وتوفيقه ومعونته بامثله صحيحة والله الموفق سبحانه وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وقد تم تبيضه فى خواتم ذى الحجة الحرام متم عام 1346 بعد تسويد ، قبل ذلك بنحو العامين والحمد لله اولا وءاخرا .

من درر صاحب الجلالة

« لا نزاع فى أن الفضل يعود للعلماء العرب فى تعرف الغرب على شعر فارس ومسرحها وتاريخها ، وعلى علم الفلك الهندى ، وعلى قسم كبير من الكتابات الاغريقية ... كما أن ابن سينا وابن رشد قد ادخلا فى العالم اللاتينى فلسفة أفلاطون وارسطو وذلك المذهب الانسانى الذى ازدهر فى الغرب فى عصر النهضة .

فالعرب هم الذين اخترعوا وطوروا المنهج التجريبى والكيمياء ، وهم الذين أعطوا الغرب الارقام العربية . كما أن الطب والصيدلة وعلم النبات والفلك والجغرافيا ظلت علوما عربية طوال أربعة قرون ، وقد سلم علماؤنا بكروية الارض نحو عام 800 ثم أقرها العلماء العرب ببلاط روجر الثانى بصقلية فى القرن الثانى عشر . واليوم ، كم من الطلبة الغربيين الذين يعكفون على حل مسائل الجبر يعلمون أن الجبر علم عربى ؟ » .

جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله

من كتاب « التحدى »

المغرب والدعوة إلى الاحتفال بذكرى القرن الرابع عشر الهجري

ان الاسلام رسالة خالدة ، وقد ارسل الله نبيه الكريم رحمة للعالمين كافة ، لذلك كانت الدعوة الى الاسلام واجبا دينيا حتى يبلغ المسلمون عقيدة الاسلام وشريعته الى امم الارض قاطبة ، وكانت عظمة الاسلام فى سرعة انتشاره فى العالم كله ، تلك السرعة التى اذهلت المؤرخين وكانت مثار اعجاب العالم كلـه . ويرجع ذلك الى صدق رسالة الاسلام وقوة عقيدة المسلمين وايمانهم برسالتـه واحقيتهـا وعدالتهـا وانسانيتها ، فالاسلام آخر الاديان ، رسالة من عند الله تعالى ورحمة بالبشر اجمعين . وانقاذا لهم مـن الضلال ، وارشادهم الى خير الدارين .

على أن هناك عاملا فعالا فى انتشار الاسلام ووعى رسالته ، والاستجابة له ، وهو ما قام بـه دعاة المسلمين من علماء ، وفقهاء ، ومعلمين ، وحكام وتجار ، وعمال فى حمله الى مختلف البيئات والبقاع متخذين من هدف الرسول عليه السلام مثلهم الاعلى، ومن سلوكهم المستقيم نموذجا صادقا لما يدعو اليه الاسلام ، من استقامة السلوك وصـدق الايمـان والاخلاص للحق والوفاء للعدل ، فلا بدع ان نـرى الاسلام منذ السنوات الاولى من بزوغ فجره يتجاوز الجزيرة العربية الى اصقاع آسيا وافريقيا واوربا وان يصبح كل مسلم مسؤولا عن الدعـوة الى الاسلام مكلفا بتبليغها حسب طاقته ، وكان المغرب الاقصى بصفته ثغرا من ثغور الاسلام ، ورباطا لحماية الاسلام، ومركزا للحضارات والثقافات معبرا للدعوة الاسلامية الخالدة سواء الى اوروبا عن طريق الاندلس ، او الى افريقيا الغربية عن طريق الصحراء .

وهكذا نمت الدعوة الاسلامية فى المغرب وحمله دعاته الى العالم كله ، سواء بأساليـب الموعظـة وتحفيظ القرآن الكريم على يد الفقهاء والمعلمين ، او بصدق المعاملة على يد التجار والعمال او بعدالته على يد القضاة او بأساليب العلم والفلسفة والمنطق فى جامعات اوروبـا .

وقد اقتضى جهد نشر الدعوة الاسلامية الذى اضطلع به علماء المغرب ضرورة كتابة المؤلفات البسيطة والمنظومات السهلة وتبسيطها وشرحها واذاعتهـا بمختلف اللغات واللهجات كما اقتضى ذلك ان يكونوا نموذجين فى سلوكهم واخلاقهم ، وان يؤطروا الجماعات الاسلامية فى عقيدة سليمة وتربية صوفية سنية .

ولقد التزم هؤلاء جميعا فى دعوتهم ان تكـون طبق النهج القرآنى ، والحديث النبوى الشريف ، فلم يزيغوا عن هذا الطريق قط بل ظلوا اوفياء له كاشـد ما يكون الوفاء مخلصين لتعاليم الاسلام فى السر والعلن والسراء والضراء كما ظلوا مخلصين فى عملهم يحاسبون انفسهم على ما يقدمون من اعمال وخدمات للانسانية بفضل الدين الاسلامى وجعلوا من بداية كل قرن فرصة للتأمل والاعتبار ، والانطلاق فى السير

الهادف والى تركيز الاسلام ، فالله تعالى يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها . وفعلا فعلى راس كل قرن يظهر مجدد من عظماء الاسلام ، وما اكثر اسماءهم فى سجل التاريخ الذهبى للامة الاسلامية ، يجددون على اساس الهدى القرآنى الذى تدفق من جرائه نبعا صافيا وقد ظل دعاة الاسلام فى كل مكان يجددون وسائل تبليغ الدعوة ونشرها ، لغة وتعبيرا واسلوبا فى العمل والقدرة على مواجهة التحديات ، مخلصين لتعاليم الاسلام غير مبدلين ولا مغيرين .

واذا كان يعسر أن نذكر فى هذا العرض ولو القليل من اعمال سلفنا الصالح فان من المستحسن ان ننقل الرسالة البليغة التى وجهها سلطان المغرب الحسن الاول (قدس الله روحه) المتوفى سنة 1311. الى الامة المغربية فى مطلع القرن الرابع عشر تقديرا لجهود ملك عظيم فى حماية الاسلام والدفاع عنه ونص هذه الرسالة بعد البسملة والسلام .

هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية . ونصيحة دينية . للولاة والرعية . صدرت من عبد الله الموفق بفضل الله . المتوكل عليه فى سره ونجواه ، امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين . (ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن ، الله وليه 1291) ايد الله ملكه ، وأجرى فى بحار اليمن والسعادة فلكه وجعل فيما يرضيه اوامره ، ونصره وجنده وعساكره ، الى معاشر اهل الاسلام وامة النبى عليه الصلاة والسلام وفقكم الله وهداكم وبركوب سفينة الشريعة أنجاكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد فلتعلموا ايها المسلمون ان الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيئين مبشرين ومنذرين . واناط بهم احكام الشرائع ابلاغا وتبليغا وجعلهم نوبا عن سيد المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام عليه وعليهم الصلاة والسلام قال مولانا فى محكم كتابه المبين : « واذا اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم » الآية ولما بعثه الله تبارك وتعالى قام بما حمله من أعباء الرسالة ، وبلغ ما أمر بتبليغه وانقذ الامة من الضلالة الى ان صار الدين مشيد الذرى محكم العرى وتبوات خير امة من قصوره حصنا حصينا ، اثره نزل قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ثم أقام الله سبحانه من بعد الخلفاء والائمة المرضيين الحنفاء فمهدوه تمهيدا وجددوه فى كل عصر تجديدا ، واقتفى اثرهم أمراء الاسلام السالكون نهجهم الاقوم فى كل مقصد ومرام فنصحوا لله ولرسوله والمومنين ، وبذلوا مجهودهم فى مرضات رب العالمين، فأقاموا شريعته حتى لمعت بوارقها ، وشيدت باحياء مراسمها بعد ما شابت مفارقها ، الى أن صار الدين غضا طريا وقطفوه دانية بكرة وعشيا ، رحمهم الله . وهكذا على راس كل مائة يبعث الله لهذه الامة الاحمدية من يجدد معالم الدين ، ويصقل مرآته من صدى التعمق فى بيداء المضلين وحيث كانت هذه السنة هى آخر المائة وتوفرت دواعى النصيحة بمفتتح راس المائة القابلة لهذه الفئة تعين لذلك تنبيه الغافل وارشاد الضال عملا بما كان عليه السلف لنكون بعدهم لهم خير خلف واداء لحق الواجب واخذا بطرق الامتثال فقد قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المومنين وعامتهم وعليه فاعلموا ايها الناس ان اول ما يجب على المكلف المتمكن من النظر فى الادلة معرفة ما يجب فى حق الله وفى حق الرسول بالبراهين النقلية والعقلية ليخرج من ربقة التقليد ، ويشرق باطنه بأنوار التوحيد فتقوى لديه بواعث العبادة التى بها أمر الله عباده ، فان الله سبحانه انما خلقنا لمعرفته وامرنا بتوحيده وبعث الرسل عليهم السلام لبيان وعده ووعيده ، قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وقال سبحانه : « فاعلم انه لا اله الا الله » وقال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وقال : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » وقال تعالى : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب » وقال تعالى : « يا ايها النبىء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » الآية ، وقال : « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه

بكرة واصيلا » والايمان أن تومن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتومن بالبعث كما فى صحيح البخارى جوابا منه صلى الله عليه وسلم لجبريل والتوحيد المعبر عنه بالمعرفة المذكورة هو الذى حض عليه الله ورسوله كما أمر فتعلموه وعلموه وحرروا القصد والنيات فى العبادات قال عليه السلام : (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليها) والعلم بأحكام العبادة به تحصل الافادة.

ففى الحديث عنه عليه السلام : (ما عبد الله بأفضل من فقه فى الدين) واركان الدين ما ورد عن سيد المرسلين (بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا) فاساس الدين ، التوحيد وملاكه معرفة الله والرسول كما يجب اذ هى شرط والباقى بدونها لا يفيد .

الركن الثانى اقامة الصلاة بالطهور واداؤها فى وقتها كما أمر الله اذ هى عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات ، قال تعالى : « ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا » وقال عليه السلام : (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فان قبلت قبل سائر عمله وان ردت رد سائر عمله) وقال عليه السلام : (الصلاة من الدين بمنزلة الراس من الجسد) وقال عليه السلام : (خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة) وكتب سيدنا عمر الى بعض عماله « ان اهم اموركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها فهو لما سواها احفظ ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع » وقال بين الايمان والكفر ترك الصلاة وقال عليه السلام : (الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين فينبغى للمومن الاهتمام بأمرها والاعتناء بشأنها والمحافظة على شروطها وسننها ومستحباتها وقوعا واداء) ، قال تعالى : « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال تعالى :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يقبل الله صلاة بغير طهور) وقال : (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره) وقال صلى الله عليه وسلم : (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) وقال تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله » الآية وقال صلى الله عليه وسلم : (من غدا الى المسجد او راح أعد الله له فى الجنة نزلا) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (ان اعظم الناس اجرا فى الصلاة ابعدهم اليها ممشى فأبعدهم ، وحكم التارك لها عمدا القتل ، والجاحد الكفر فى القول الفصل ، قال سيدى خليل ، ومن ترك فرضا اخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى وقتل بالسيف حدا ولو قال انا افعل وصلى عليه غير فاضل ويكفى فى ذم تاركها او مؤخرها عن وقتها ما ورد من الوعيد فى شأنه قال سبحانه : « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » الآية وفى الحديث : (من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان) وعنه عليه السلام : (من ترك الصلاة فقد اتى الكفر جهارا) وعنه (من ترك العصر فقد حبط عمله) وعنه (من جمع بين صلاتين بغير عذر فقد اتى بابا من ابواب الكبائر) وعنه (من ترك ثلاث جمع متهاونا طبع الله على قلبه) وعنه عليه السلام اتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال « يا محمد ان الله عز وجل يقول انى فرضت على امتك خمس صلوات من اوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له عندى بهن عهد أن ادخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئا فليس له عندى عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته » .

الركن الثالث من مبانى الاسلام الزكاة ، وقد قرنها الله بالصلاة فى آيات كثيرة ، والرسول فى احاديث شهيرة فكما ان الصلاة طهرة الابدان فكذلك الزكاة طهرة الاموال قال سبحانه : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا

بالمعروف ونهوا عن المنكر » وقال : « الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون » وقال : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم » وقال صلى الله عليه وسلم : (الزكاة قنطرة الاسلام) وقال : (حصنوا اموالكم بالزكاة فانه ما ضاع مال فى بر او بحر الا بترك الزكاة فيه) وقال عليه السلام (ما من صاحب مال لا يؤدى حق الله فيه الا مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له زبيبتان ياخذ بلهزمته يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » الآية وعن ابى ذر موقوفا قال « بشر الكانزين برضف يحمى عليهم فى نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل » كما فى صحيح البخارى وعنه عليه السلام (مانع الزكاة يوم القيامة فى النار) وهى تجب فى خمسة اشياء مختلفات النعم والنقدين والركاز والمعادن والمعسرات ويلحق بهذا الركن فى الجملة زكاة الفطر فانها واجبة الاخراج على كل مسلم فضلت عن قوت يومه عن نفسه وعن كل مسلم يمونه بقرابة او رق او زوجية ووجوبها بالسنة على المشهور ففى الموطأ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر من رمضان » وفى الترمذى بعث صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى فى فجاج مكة « الا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم » .

الركن الرابع الصيام الواجب على الانام قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » الآية وقال « شهر رمضان » ، الآية وقال صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وقال صلى الله عليه وسلم (شهر رمضان كتب الله عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) وقال عليه السلام (هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه ابواب الجنة وتغلق فيه ابواب النار وتسلسل فيه الشياطين،وجزاء ثوابه لا يحصى) ففى الحديث (كل عمل ابن آدم يضاعف.الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف) قال الله عز وجل « الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى ».

الركن الخامس حج بيت الله الحرام قال تعالى فيما نزل على نبيه تنزيلا : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ، وعن عمر رضى الله عنه (لقد هممت ان ابعث رجالا الى هذه الامصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين) قال ابن حجر ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الراى فيكون فى حكم المرفوع ومن ثم افتيت بأنه حديث صحيح وفى الحديث (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) وقال تعالى : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وقال صلى الله عليه وسلم (الحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة) وقال عليه السلام الحج تضعف فيه النفقة بسبعمائة ضعف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول (ان عبدا اصححت له فى جسمه ووسعت عليه فى معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد الى لمحروم) وقال الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف لهم ما انفقوا الدرهم الف درهم،ولا ينبغى الحج لمن يضيع ما سواه من اركان الاسلام ، صلاة او غيرها مما يلحقه عليه فى الشرع تبعة الملام ، كما تفعل العامة اليوم فى عدم تحريها فى نفقة الحلال، ولا تقوم بما أوجب الله عليها من الاقوال والافعال .

اذا حججت بمال اصله سحت
فما حججت ولكن حجت العير

وقد نص العلماء رضوان الله عليهم فيما حرروه وذهبوا اليه ان الحاج اذا تحقق انه يخرج صلاة عن وقتها لعذر كمبد لم يجب عليه وقد كادت ان تترك هذه الدعائم ، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم ، ونبذت الشرائع عيانا ، وارتكبت البدع اعلانا ، وصار امرها يتزايد فى كل حين والحق لا ناصر عليه يعين ، قال تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » وقد ظهر فى الناس من

المخالفة لامر الله واتيان ما حرم الله والتفريط فى جنب الله والاعراض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخشى معه من حلول عقاب الله ونقمته ، لولا حلمه وعفوه وسابق رحمته وقال تعالى « ولو يواخذ الله الناس بظلمهم » الآية نطلب الله ان يلهمنا والمسلمين لما يوجب رضوانه ، ويرشدنا لما يجلب امانه وغفرانه ، فان هذه الدار قنطرة الى الآخرة ، وسبيل لمن وفقه الله الى الوصول للمنازل الفاخرة ، والسعيد كل السعيد من استعمله الله فى اعمال صالحة ، والهمه الى اتباع سنة رسوله التى هى المتاجر الرابحة ، فخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، وتزود من تقوى الله وخير الزاد التقوى ، وقدم ما ينفعه من هذه الدار للاخرى وذكر فنفعته الذكرى ، فينبغى تكرير الوعظ والتذكير ، والتنبيه والتحذير ، ليلا تقسو القلوب ، بتوالى الذنوب « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وفى الحديث عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة احيانا مخافة السآمة علينا ، ويجب الرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار ، وتجديد نية الاخلاص ونفى الاصرار فالعمل بالسنة هو السبيل الموصل الى رضوان الله فالزموها ، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها ففى الحديث عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة فيتأكد على كل من ولاه الله تعالى امرا ان ينظر لرعيته ، ويعمل على اخلاص عمله وتصحيح نيته ، ويرشدهم الى ما ينفعهم دنيا واخرى ويحملهم على ما يقربهم الى الله زلفى ، قال الله سبحانه : « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » وقال « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون» وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه ، ويجعل سعيه بما يوجب الفوز بقربه ، فانه لا ينفع الوعظ فى ابناء جنسه الا بعد تطهير نفسه ، فليبدا العامل بنفسه ، فيصرفها عن هواها ويأمرها بما يامر به سواها ، ولا يكن ممن يدعو الى طريق البر وهو قد حاد عنه وخرج وانتصب لمعالجة غيره وهو الى من يعالجه احوج ، اذ بصلاح الولاة تصلح الرعية ، وتستقيم احوالها فى السر والعلانية ومن صلاحهم أن يكونوا مع من هو الى نظرهم اخوانا ، وعلى ما يقوى على الطاعة اعوانا فالمسلم اخو المسلم وان كان واليا عليه، واولى الناس باستعمال الرفق من ظهر فضل الله لديه ، وان لا يداهنوا اهل المعاصى ، بل يتقصوا احوال الدانى منهم والقاصى ففى الحديث الكريم يحشر يوم القيامة اناس من امتى من قبورهم الى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون ويستعين على ذلك بتقريب اهل الفضل والدين ، ويجتنب اهل الضلالة والمعتدين فان الطباع تسرق الطباع ، والمرء لمن غلب عليه تباع . قال فى الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ، وفى الحديث ما من امير الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تالوه خبالا ومن وقى بطانة السوء فقد وقى واذا زكى الانسان نفسه واتقى ربه اصلح الله رعيته ، وبلغه من كل خير امنيته ، فان راس المال تقوى الله وسبيل النجاة اتباع سنة رسول الله قال الله سبحانه وتعالى : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » وقال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وقال : « ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا » وقال سيدنا على كرم الله وجهه قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاد الله آمنا وحقيقة التقوى اتباع الاوامر واجتناب النواهى وان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم (كلكم راع ومسؤول عن رعيته والسعيد من سعدت به رعيته ولا سعادة اكبر من العدل فى الرعية وحسن السيرة فيها والعمل بما ينجى من عذاب الله ، قال سبحانه : « فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » وقال سبحانه : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال سبحانه وتعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا

ويحذركم الله نفسه » وقال سبحانه وتعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وقال سبحانه : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » وافضل اعمال الولاة العدل ونصر المظلوم وقمع الظالم فانما السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه القوى والضعيف وينتصر به المظلوم وقال سبحانه « وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم . واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به » وقال : « ان الله يحب المقسطين » وقال عليه السلام : (ان المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهلهم وما ولوا) وفى الحديث : (الامام العادل المتواضع ظل الله فى الارض يرفع له عمل سبعين صديقا) وقال سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » وقد امر الله بالعدل ورغب فيه واخبر بكرامة صاحبه اذ به تحصل العمارة والامان ، فى جميع الاوطان والازمان ، وكما رغب فى العدل ورتب الاجر عليه نهى عن الجور والظلم وحذر منه واخبر بهلاك مرتكبه قال سبحانه : « يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما . ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » وقال : « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون . واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وقال عليه السلام : (الظلم ظلمات يوم القيامة) وقال (الظلم يذر الديار بلاقع) وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه (يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته فيما بينكم محرما فلا تظالموا) وقال (ومن اظلم ممن ظلم من لم يجد ناصرا غيرى) وقال (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وقال فى حجة الوداع (فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا) وفى الحديث (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، التقوى ها هنا) واشار الى صدره الشريف ويدخل فى الظلم ظلم اهل الذمة وما سموا اهل الذمة الا لانهم فى ذمة الاسلام يجب حفظهم والدفاع عنهم وتحرم دماؤهم واموالهم وقد اوصى عليه السلام بالوفاء لهم وحذر من ظلمهم ففى الحديث (من ظلم ذميا كنت له خصيما يوم القيامة ومن كنت خصيمه فلجت عليه بالحجة) وفيه (من قتل معاهدا فى غير كنهه حرم الله عليه الجنة) وفيه اذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة واذا جار الحاكم قل المطر واذا تركوا الجهاد رهبة البسهم الله سيم الخسف ووسمهم بالصغار) ففى الحديث (ما ترك قوم الجهاد رهبة الا ذلوا) وفى الحديث (من جرد ظهر مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان) وفيه (من روع مؤمنا لم يومن الله روعته يوم القيامة ومن سعى بمومن اقامه الله مقام خزى وهوان يوم القيامة) وعنه عليه السلام (من اعان فى قتل امرىء مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) وفى الحديث (اللهم من ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه) وعنه عليه السلام (ايما احد استرعى رعيته فلم يحطها بالامانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التى وسعت كل شيء) وعنه عليه الصلاة والسلام (من اخون الخونة تجارة الوالى فى رعيته) وفى الحديث (لكل شيء آفات تفسده وآفات هذا الدين ولاة السوء) وعنه صلى الله عليه وسلم (ما عدل وال اتجر فى رعيته) وعنه عليه السلام (من ولى شيئا من امور المسلمين لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم) وعنه عليه الصلاة والسلام (ما من امام او وال يغلق بابه دون ذوى الحاجات والخلة والمسكنة الا اغلق الله ابواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته) وفيه (ما من امير يؤمر على عشرة الا سئل عنهم يوم القيامة) وفيه (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة) واعلموا ان ما ينزل بنا من الشدائد والمصائب انما هو من عدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارتكاب الذنوب ، والاصرار على العيوب وقد حذر الشارع عليه الصلاة والسلام وانذر ، ووعظ وذكر ورتب على كل ذنب عقوبة فقال جل ثناؤه : « ولتكن منكم امة

يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » وقال تعالى : « والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة » الآية وقال عز وجل « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ومن المنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر على تغييره لقوله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) .

ومن المنكر الذى لا يسع التغافل عنه والتساهل فى امره هذا الخطب النازل الوقتى الذى هو المجاهرة باستعباد الاحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعى فان المستعبد لحر هو احد الثلاثة الذين لا يقبل الله عنهم صلاة فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل اتى الصلاة دبارا) والدبار ان ياتيها بعد ان تفوته (ورجل استعبد حرا) وهو ايضا احد الثلاثة الذين قال الله تعالى فيهم انه سبحانه خصمهم فعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل اعطى بى عهدا ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استاجر اجيرا فاستوفى ولم يوفه) وقال عليه السلام (ما من قوم يظهر فيهم الربا الا اخذوا بالسنين وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا اخذوا بالرعب) وقال عليه السلام (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم اعز واكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب) وقال صلى الله عليه وسلم (مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم) وقال عليه السلام (خمس ليس لها كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المومن والفرار من الزحف ويمين فاجرة يقطع بها مال بغير حق) وفى الحديث (خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا القطر واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عليهم المطر) وفى الحديث (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن) وفيه الزنى بريد الفقر وفيه (من شرب مسكرا سقاه الله من طينة الخبال) قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال (عصارة اهل النار وصديدهم) وقال (من شرب مسكرا لم يقبل الله منه صلاة اربعين يوما) وقال (من غصب قيد شبر من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين) وقال عليه السلام (من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار) وقال عليه الصلاة والسلام (اذا فعلت امتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء او خسفا او مسخا) وعنه عليه السلام (اتقوا السبع الموبقات اى المهلكات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات وقد احل الله البيع وحرم الربا وامر بالكسب وجعله لنيل الفضل سببا) قال تعالى : « واحل الله البيع وحرم الربا»وقال«وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون» وقال « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » وقال صلى الله عليه وسلم (التاجر الصدوق يحشر مع الصديقين والشهداء) وقال عليه السلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة) وقال عليه السلام (طلب الحلال فريضة على كل مسلم) وقال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين » وفى الحديث (درهم ربا ياكله الرجل وهو يعلم اشد عند الله من ست وثلاثين زنية فى الاسلام ومن نبت لحمه من ربا فالنار اولى به) وفيه (لعن الله آكل الربا وموكله

وشاهده وكاتبه هم فيه سواء) وفيه (أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم) فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اكلة الربا) وفى الحديث (اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى ان الرجل قد يزنى فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه) وفيه (أتدرون ما الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته) وقال الله سبحانه : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله » الآية وفى الحديث (ان الله لا يحب الفاحش المتفحش ولا الصياح فى الاسواق وفيه خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله) وفيه (ان الله تعالى حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) وفيه (ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) وفيه (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فاعملوا بما يتلى عليكم من آيات الله تهتدوا . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم تسعدوا . وسابقوا الى سلوك نهج الخلاص وتداركوا اعمالكم بالتوبة والاخلاص واركبوا من طاعة الله ورسوله سفن النجاة ، وتقنعوا من الاعمال الصالحات بالبضاعة المجزاة ، واقيموا شعائر الاسلام بينكم واظهروها . وزكوا انفسكم بطاعة الله وطهروها ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون . ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وبادروا لها مبادرة الغريق لطلب النجاة ، وانتهزوا فرصتها قبل هجوم هادم اللذات ، وهى ان صادفت محلها تجب ما قبلها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) وفى الحديث (توبوا الى الله فانى أتوب الى الله كل يوم مائة مرة وفيه ان للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وفيه من تاب قبل ان يغرغر قبل الله منه).

ونعهد الى عمالنا وولاة امرنا ان يلزموا انفسهم واهليهم طاعة الله ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضوهم عليها قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا » وان يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشارطة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم فى دينهم ويقيم لهم الصلوات الخمس فى أوقاتها ويحضهم على الاذان الدال على ايمان الدار . وهو للمومنين شعار . وان ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا وتعاهد اماكن الخوف منها رواحا وابتكارا . وينصبوا لاهل العبث الارصاد . ويكمنوا لهم بكل واد ، حتى تصير الدماء بذلك محقونة . والفتن محسومة والاموال مصونة . فان قطع الطريق واخافة المسافرين من اقبح السيئات . كما ان اماطة الاذى عن الطريق من احسن الصالحات ــ ففى الحديث الكريم : (عرضت على اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق . وان يتفقدوا احوال الفقراء الذين قدرت عليهم مواد الارزاق . والبسهم التعفف ثوب الغنى وهم فى ضيق من الاملاق . وبصدقة التطوع التى هى للحسنات كالام الولود . فهى التى تتيقظ لحراسة صاحبها والناس رقود . وبها تستنزل الارزاق وتسبغ الآلاء . . وتطفىء الغضب ولا يتخطاها البلاء ، اختص الله بها بعض عباده لمزية افضالها . وجعلها سببا للتعويض بعشر امثالها) . ففى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فكأنه انما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل الجبل) وفيه (ما من رجل يتصدق فى يوم او ليلة الا حفظ من أن يموت من لدغة او هدمة او موت بفتة) وفيه (ان الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار) وفيه (اتقوا النار ولو بشق تمرة) وفيه (اعطوا السائل ولو جاء على فرس) اى لا تردوه ولو جاء على حالة تدل على غناه وورد استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة وليعاقبوا الفرقة التى تراخت فى الدين وخالفت

سنة سيد المرسلين ولم يتعلموا ما يقيمون به قواعد اسلامهم ولا سلكوا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل ائمة الدين واعلامهم ففى الحديث (انما العلم بالتعلم وهو واجب اذ لا يحل لامرىء مسلم أن يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه) وقد قال سبحانه وتعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وقال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم » ولما اخذ الله العهد على العامة ان يتعلموا اخذ العهد على اهل العلم ان يعلموا فقال سبحانه « واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم » وقال صلى الله عليه وسلم (من كتم علما الجمه الله بلجام من نار فتعلموا وعلموا فان من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم) قال الله سبحانه « واتقوا الله ويعلمكم الله » وفى الحديث (اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل) « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » وقال « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال صلى الله عليه وسلم فى وصية لبعض اصحابه رضى الله عنهم (كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل واعدد نفسك فى الموتى واذا اصبحت فلا تنتظر المساء واذا امسيت فلا تنتظر الصباح) وقال (يا بنى احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) وقال فى وصيته لمعاذ بن جبل (يا معاذ بن جبل اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) قال قلت يارسول الله زدنى قال (كف عنك هذا) واشار الى لسانه قلت او انا لمواخذون بما نتكلم به قال (ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم) او قال (على وجوههم الا حصائد السنتهم) وفيه (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه) وفيه (احب الاعمال الى الله حفظ اللسان) وفيه (رحم الله امرءا تكلم فغنم او سكت فسلم) وفيه (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم) وفيه (اكثر خطايا الانسان من لسانه) وفيه (من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة) فليبلغ الشاهد الغائب ، الهمنا الله واياكم الاعمال الصالحات ، وارشدنا لمناهل الخيرات وجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وبعد ، فان هذه الوثيقة دالة على عناية المغرب بالاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، وعلى ما قدمه المغرب عبر تاريخه من عمل متواصل لنشر الاسلام بأسلوب محكم وكفاح متواصل .

جامع القرويين

من بحث شارك به الاستاذ السيد عبد العزيز بنعبد الله في مؤتمر رسالة المسجد الذى دعت اليه رابطة العالم الاسلامى وانعقد من 15 رمضان 1395 — 20 رمضان 1395 (20 شتنبر 1975 — 25 شتنبر 1975)

عندما تولى يحيى بن محمد بن ادريس ملك المغرب عام 234 هـ كثر الواردون على فاس (1)فكان ممن قدم من القيروان محمد بن عبد الله الفهرى الذى استقر مع ذويه فى عدوة القرويين وخلف بعد موته بنتين وهما : (فاطمة ام البنين ومريم) وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبتا أن تصرفاه فى وجوه البر فعلمتا ان الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير فى كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين (2) بالناس فشرعت فاطمة فى بناء جامع عدوة القرويين ومريم فى بناء جامع الاندلس (3) .

وقد وقع الشروع فى بناء جامع القرويين فى رمضان 245 هـ ونصبت قبلته على غرار قبلة جامع الشرفاء الذى اسسه المولى ادريس ، وكان يحتوى اول الامر على اربعة بلاطات ابتداء من القبلة ، ولكل بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق الى الغرب ، واقيم المحراب مكان الثريا الكبرى كما جعل فى مؤخره صحن صغير وصومعة واحتفظ بهذا الهندام المعمارى الى ان كثرت العمارات واتصل البناء فى ارباض المدينة من سائر الجهات وجرى امر زناتة بارض المغرب سنة 307 هـ فازيلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره واقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر .

وعندما دعت زناتة لعبد الرحمن الناصر ملك الاندلس وبايعه اهل فاس قام العامل احمد بن ابى بكر الزناتى بتوسيع المسجد منفقا عليه (من اخماس غنائم الروم) فزاد اربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف (اى الشمال) فى موضع الصحن الذى كان فيه بلاط واحد بعد ان هدم الصومعة لتطاول اشرافها على الدور المجاورة واصبح مصعدها يضم مائة درجة ودرجة وغشى بابها المواجهة للقبلة بصفائح النحاس الاصفر وتم ذلك كله عام 345 هـ حسبما فى التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن وجعل فى اعلاها قبة صغيرة ووضع فى دورانها تفاتيح مموهة بالذهب فى زج من حديد وركب فى الزج سيف الامام ادريس مؤسس المدينة وبنيت تحت القبة المذكورة قبة اكبر منها لجلوس المؤذنين

---

(1) اسست القرويين بعد بناء فاس بثلاثة ارباع قرن وقد اختلف فى تاريخ بناء فاس ، وافرد ليفى بروفنصال بحثا فى الموضوع اقتبس فيه من مؤرخين كابى بكر الرازى المتوفى عام 346 والذى يقول بان بانى فاس ادريس الاول الذى جاء الى المغرب عام 172 ومات عام 174 وبنيت المدينة فى نظره خلال هذه الفترة ، ولاحظ ابن سعيد ان ادريس الاول لم يؤسس سوى عدوة الاندلس ونقل ابن الابار عن ابى الحسن النوقلى ان ادريس الثانى بنى عدوة القرويين عام 187 يوجد فى مكتبة باريس درهم سك بفاس عام 189 اى قبل التاريخ المادى لبناء فاس بعامين ، كما يوجد درهم فى متحف كاركوف بروسيا صك بفاس عام 185 وهو التاريخ الذى يعطيه الحسن بن محمد الوزان لبناء فاس ..

(2) لاحظ ابن أبى زرع ان عدد مساجد فاس انتهى ايام المنصور و الناصر الموحدين الى 782 مسجدا علاوة على 122 ما بين سقايات ودور اوضاء وحمامات — الانيس المطرب ج 1 ص 64 .

(3) زهرة الآس فى بناء مدينة فاس لعلى الجزنائى طبعة 1340 ص 34 .

لاشاعة الاذان فى اوقاته ، وكان فيها بيت الراعى منهم لاوقات الليل وانصداع الفجر وبندائهم يقتدى باقى المؤذنين بصوامع المدينة ، وتوجد بمواضع من المنارة بلاطة رخام وسط كل منها قائم يستدل بصدود ظله على خطوط بطول ازمان النهار ومرور ساعته ، وفى عطفات ادراجها سرج زاهرة الضياء يمر عليها الليل ، وفى عهد يوسف المرينى 675 هـ نصب بدن من الفخار بالقبة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء مجرى من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منها الماء بقدر معلوم الى ان يصل الخطوط فيعلم بذلك اوقات الليل والنهار ، وقد صنعت فى غرفة مطلة على الصحن مجانة على يد المعدل محمد الصنهاجى عام 714 هـ وهى عبارة عن مجن من خشب الارز جعل فى ركن الغرفة عن يسار المستقبل ووضع فى داخله بدنان كبيران من فخار احدهما اعلى من الاخر يحتوى على ماء وبالاسفل انبوب من نحاس يهبط منه الماء فى البدن الاسفل بقدر معلوم ، وجعل فى طرف الجنح (الالة) مفطس (جفنة) وكذلك فى جانبى التفطيسة رسمت فيها الساعات ودقائقها واوقات الليل والنهار وجعل الموقت المسطرة معلقة فى (158) خارجا من الجنح يجرى فى حفر التفطيسة طالعا وهابطا ، وجعل على وجه الماء الذى يجتمع فى البدن الاسفل جسما مجوفا من نحاس على هيئة الاطرفة (اى الجوانب الداخلية) معلقا فى الطرف الداخلى على العلو فاذا طلع الجسم بطلوع الماء الذى يجتمع فى البدن الاسفل طلع الطرف الخارج من التفطيسة وطلعت بطلوعه المسطرة — وفى ايام ابى عنان 749 هـ جعل خارج الجنح دائرة عليها شبكة الاسطرلاب تدور رسومه ومتى طلعت المسطرة عرف بها الوقت ، كما اقيمت هناك رمليات لاختيار الوقت مع اسطرلابات اخرى ، ومنذ هذا العهد جعلت صارية ينشر فيها العلم ايذانا باوقات الصلاة النهارية ومنار لاوقات الليل وقد صنع ابو عنان (758 هـ) « مجانة بطيسان وطسوس من نحاس » مقابلة لباب المدرسة التى اسسها بفاس « وجعل شعار كل ساعة ان تسقط صنجة فى طاس وتنفتح طاق » .

وقد بنى المظفر بن المنصور بن ابى عامر المنبر عام 388 هـ من « عود الابنوس والعناب وغيرهما » فخطب عليه الى ايام على بن يوسف بن تاشفين حيث صنع عام 538 هـ منبرا جديدا » ، من عود الصندل والابنوس والتارنج والعناب وعظم العاج » مع غشاء من جلد وكتان وذلك على يد نجار كان اماما فى اللغة والشعر (1) وكلف صنعه نحو 3800 دينارا فضيا .

وقد زيدت بجامع القرويين فى مختلف العصور بناءات جديدة منها الباب الاكبر بسماط الموثقين (العدول) عام 505 هـ وبخارجه قبة الجص المقربصة (عام 617 هـ) وباب الشماعين (عام 518) (2) مع قبعتين احداهما بالداخل من الجص والاخرى من الارز بالخارج (3) .

وفى عهد على بن يوسف اشتريت دور كان اكثرها فى ملك اليهود ، وزيدت فى المسجد عشرة بلاطات من الصحن الى القبلة (4) والقبة باعلى المحراب « بالجص المقربص الفاخر الصنعة » ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة وركب فى الشماسات التى بجوانب القبلة اشكال متقنة من انواع الزجاج والوانه (ثم غشيت ابواب الجامع) بصفائح النحاس الاصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن (كل ذلك عام 533 هـ) وقد لاحظ ابن ابى زرع ان هذا الفن كان يبهر الناظرين ، فلما دخل عبد المومن بن على عام 540 خاف الفقهاء

---

(1) زهرة الآس ص 42 .

(2) يذكر صاحب القرطاس ان كتابات التأسيس مؤرخة بعام 528 (ج 1 ص 85) ووهم صاحب الجذوة فاعطى تاريخا محرفا هو 710 .

(3) احرقت القبة الخشبية عام 571 فصنعها الموحدون من الجص عام 600 من بيت المال ، فى حين صنع المرابطون بابى السماط والشماعين مع القبتين من مال الاحباس .

(4) يوجد بجامع القرويين 19 بلاطا موازيا للقبلة وقد لاحظ جورج مارسى ان هذا الاسلوب يرجع عهده الى صدر الاسلام ونجده فى مصر (جامع عمرو وجامع ابن طولون) وظل هو الغالب فى مساجد فاس (فن الاسلام) ص 95 .

والاشياخ ان ينتقد ذلك النقش والزخرف لان الموحدين قاموا بالتقشف فغطى البناؤون النقش والتذهيب الذى فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض .

وقد علق جورج مارسى على هذا الحدث فزعم انه قصة ملفقة لتبرير البياض والفراغ الملحوظين فى قبة المحراب (1) الا ان الحفريات التى قامت بها مصلحة الفنون الجميلة منذ عام 1952 اكدت حكاية المؤرخ العربى ، فقد كشف عن نقوش رائعة غير انها لا تحتوى على اى توريق ذهبى ، وقد لوحظ ان اصناف الاصبغة المشار اليها من طرف صاحب القرطاس هى الازرق والاحمر والمغرة الصفراء ، وما زالت الالوان متماسكة وفى رائق غضاضتها ، ويظهر ان مزيج الاصباغ كان يحتوى على مح البيض الذهبى اللون وان الدهان كان كامدا للتخفيف من بريق اشعة النور المنعكس من النوافذ .

وقد جهز الجامع بمستودع توضع فيه اموال الجامع وامانات الناس وكان محصنا بخشب الارز وبخمس منافيس بصفائح من حديد مقلوبة « وبنيت دار الوضوء بخمسة عشر بيتا مع طاق فى سقف كل بيت للانارة وانبوبة نحاسية ينصب منها الماء » فى نقير محفور من حجر ، وفى سمكها قبة من جبس مقربصة مرقشة بأنواع الاصبغة وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر مع ثقوب من نحاس مموه بالذهب والبيلة والخصة كلاهما من عمل رجل سجلماسى صنعهما له رجل آخر « من اهل المعرفة بالبناء والهندسة » اما العنزة فقد اقيمت عام 688 « وفيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب واتقان الالصاق ودقة الخرط والنقش ما يقتضى بالعجب » (2) وصنعت سقاية منمقة (بالجص والحجر المنجور وانواع الصبغة) كما جعلت على المحراب عام 712 مقصورة من خشب الارز الغيت بعد ذلك ، اما الخزانة فقد اسسها ابو عنان المرينى عام 750 وجهزها بالكتب المنوعة وعين قيما لضبطها ومناولة مصنفاتها .

وللجامع 18 بابا و 300 سارية — عشر منها من حجر ملون وثلاثة تقع تحت الثريا الكبرى تبصر منها جميع ابواب الجامع — و 21 بلاطا و 130 ثريا من النحاس مختلفة الالوان والصناعات والاشكال والهيآت .

اما جامع الاندلس فقد وقع الشروع فى بنائه كذلك عام 245 وكان فيه ست بلاطات وصحن صغير وزاد فيه عامل الناصر الاموى الصومعة عام 345 (3) ونقلت اليه الخطبة من جامع الاشياخ قبيل ذلك (321) وبعد نحو من ثلاثة قرون عام (600) امر الناصر الموحدى ببناء الباب الكبير الذى فيه درج بأسفلها شبك من خشب الارز فيه ثلاثة ابواب وفى الاوسط بيلة من الحجر الاصفر ينفجر بها الماء من وادى مصمودة وباعلى الباب قبتان احداهما من جص مقربص الداخل . والثانية من خشب الارز .

كما امر الناصر ببناء سقاية ومدخل لمصلى النساء ومصرية لائمة الجامع ودار للوضوء بخصتها تحاكى التى بجامع القرويين وعدد بلاطاته بعد سنة 695 خمس عشرة من الشرق الى الغرب وثلاث عشرة من القبلة الى الجوف وتسعة ابواب و 134 سارية .

وكانت فاس فى هذا العصر كما وصفها المراكشى « حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ... رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس ، فهى اليوم فى غاية الحضارة واهلها فى غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم افصح اللغات فى ذلك الاقليم ، وما

---

(1) كتاب الفن الاسلامى طبعة 1926 ج 2 ص 302 وقد اكد مارسى هذا الزعم فى الكتاب الذى صنفه عام 1954 وهو الهندسة المعمارية الاسلامية فى الغرب ص 188 الا ان الاستاذ طيراس ايد مقالة ابن ابى زرع .

(2) زهرة الآس ص 65 .

(3) حسبما فى عتبة بابها — زهرة الآس ص 81 .

زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب » (1)

وقد لاحظ كوستاف لوبون ان مدينة فاس كانت تزاحم بغداد فى القرن العاشر الميلادى فكان بها نصف مليون نسمة و 800 مسجد وخزانة حافلة بالمخطوطات اليونانية واللاتينية (2) وقد زعم استاذ ايطالى هو لويجى روسوا انه اشترى من فاس مخطوطا نادرا من عشاريات تيتليف حول التاريخ الرومانى .

وقد وصف كابريال شارم مدينة فاس بانها اول مدينة مقدسة بعد مكة وانها كانت مركز القوة العربية فى عنفوان ازدهارها والعاصمة الفكرية والروحية للغرب الاسلامى بفضل معاهدها الخالدة ومساجدها الماجدة ، وذكر مارسى ان افريقية نفسها وهى الوطن العتيق لعلماء الاسلام اصبحت تتلمذ لبرابرة الغرب .

وشبه على باى العباسى هذه المدينة بأثينة لوفرة علمائها ومعاهدها ولاحظ ليفى بروفنصال انها لم تكن اقل مكانة من عواصم الاسلام الاخرى ، نعم فى هذه المدينة تبلورت الحضارة العربية التى تفتقت بالمغرب فتلالات اشعتها على اوروبا وقد احتفظت فاس على ممر العصور باشعاعها فهى ما زالت دار العلم وجامع القرويين ما زال اول مدرسة فى الدنيا .

وذكر مارمول انه كان بفاس 200 مدرسة ، ونقل الكانونى فى شهيرات نساء المغرب عن مؤرخ اوربى خصص كتابا لفن الاسنان بالمغرب لاحظ فيه ان مدينة فاس كان بها فى القرن الرابع للهجرة (مدرسة للطب) وقد احيلت المدرسة المرينية بدار المخزن فى فاس الجديد حوالى عام 1844 م الى مدرسة للمهندسين نظم فيها السلطان دراسة العلوم الحديثة

وقد اكد مولاى عبد الرحمن بن زيدان ان خريجى (مدرسة البوليتكنيك) (الفنون) التى اسسها السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن بفاس الجديد تابعوا دراستهم فى معاهد انجلترا (مثل الصدر الاعظم الجباص) وايطاليا (مثل محمد بنانى العلمى) .

وكان بجامع القرويين اواخر القرن الماضى 700 طالب ونحو الاربعين استاذا وظل العدد جامدا الى ما قبيل الاستقلال حيث اصبح ينيف على 6 الاف وكان هؤلاء الطلبة يسكنون بالمدارس ويتمتعون بنظام الخبزة الذى عوض الان بمنح دراسية ومطاعم مدرسية وداخلية منظمة فى الشراردة .

---

(1) المعجب فى تلخيص اخبار المغرب سلا عام 1397 ص 221

(2) حضارة العرب ــ الطبعة الفرنسية ص 263 وقد ذكر دلفان (ص 81) ان هذه الخزانة كانت تحتوى على 30000 مجلد كما ذكر كودار (وصف تاريخ المغرب ج 2 ص 376) ان يعقوب المرينى استرجع من المسيحيين عددا من المصنفات العربية واهداها الى القرويين ، ولاحظ ميلى (كتاب الموحدين ص 101) ان يعقوب الموحدى كانت له خزانة تضاهى مكتبة الخليفة الاموى الحكم الثانى وقد اهداها كذلك الى القرويين وفى عهد المولى زيدان السعدى اخذس قنصل فرنسى اربعة الاف مخطوط عربى وباعها لاسبانيا فكانت من نواة الاسكوريال . . . .

أوصاف ابن طاهر الخلقية وتأثيره في تلاميذه

بقلم العلامة مولاى التقى العلوى

وكما كان صاحب الترجمة طودا شامخا ومنارا عملاقا فى علوم القرآن والحديث وغيرهما . كان كذلك نجما ثاقبا وكوكبا ساطعا وسراجا وهاجا ونموذجا حيا ومتحركا فى التمسك بالسنة المطهرة ومقاومة البدع المنكرة يقشعر جلده عند ذكر الله وينفطر قلبه خوفا من اليم عذابه . وكانت المهنة المحببة اليه طول عمره هى الاشتغال بتنوير الاذهان وتبديد ظلام الجهل بنشر العلوم والمعرفة بين جميع طبقات الشعب وكان ملازما لتطبيق العلم على العمل ابتغاء مرضاة الله ومثوبته . وبذلك كون مدرسة تطبيقية ظهر اثرها واضحا فى تلاميذه . كما عاتت اكلها ضعفين فى تلاميذهم ، يقول تلميذه البار ابو عبد الله محمد بن سعيد المرغتى صاحب نظم المقنع الذى حج الى بلاد مدغرة 1037 هـ للاقتباس من عرفان صاحب الترجمة والتملى من معلوماته وسلوكه : كان رحمه الله من عباد الله الصالحين ما رايت اسرع منه دمعة عند سماع القرآن، فلا يكاد الطالب يجود امامه لوحا الا بكى ثلاث مرات او اكثر . وكذا عند ذكر الله وذكر نبيه وعند ذكر المدينة المشرفة والاولياء والصالحين يعظم حرمات الله وحرمات رسوله وحرمات الاولياء والصالحين وكان شديد البغض للمتبدعين التاركين لسنة الرسول . كثير التواضع لاهل العلم وللطلبة والفقراء الصادقين يجود لهم بنفسه وماله . وفضائله كثيرة . ما رايت فى مغربنا اتبع للسنة منه . وحركاته وسكناته كانت كلها علوما وفوائد (1) .

وقد كانت حياة صاحب الترجمة مطبوعة بطابع الزهد والورع وفراغ القلب مما سوى الله . فارتفع بصلاحه الدينى عن مصلحته الدنيوية واستغنى بكفافه وعفافه عما فى ايدى الناس كيفما كانت مراتبهم . فقد سبق له ان كان قد عرف مدينة مراكش المرحة الفاتنة التى تغرى الكثير من الزائرين بمباهجها . وتشجع العديد من ذوى المواهب على الاستيطان بها . والنوم فى احضانها . وكانت فى ذلك الوقت عاصمة للمنصور الذهبى الذى كان ينثر تبره ودنانيره بغير حساب على العلماء والادباء والشعراء والفنانين . وكان يتصل بهذا البلاط الذى كان يعج بذوى المواهب والنبوغ مثل ابن عمه العلامة آخر المحدثين بمراكش ومفتيها الشاعر الناثر ابى مالك عبد الواحد بن احمد العلوى المتوفى 1003 هـ والكاتب الكبير والشاعر الناثر مؤرخ دولة المنصور ووزير

تابع لما نشر سابقا من ترجمة الحافظ ابن طاهر فى العدد الثانى ص 50

(1) نفح المالك الناصر فى اجازات بنى ناصر مخطوط ونشر المثانى ج 1 ص 165 طبع فاس والدرر البهية ج 1 ص 264 كذلك .

القلم الاعلى فى دولته ومؤلف مناهل الصفا ابى فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجى الفشتالى 957 — 1032 . والكاتب البليغ الشاعر العبقرى وزير القلم الاعلى ابى عبد الله محمد بن على الفشتالى 956 — 1021 . والفقيه الاديب المتفنن المشارك ابى الحسن على بن منصور بن المرابط الشيظمى الذى ولد حوالى 950 . وغير هؤلاء كثير . وكان فى وسعه ان ينحاش الى هذا البلاط من قريب او بعيد . ويرتبط بما ارتبط به غيره ممن هو فوقه او دونه من العلماء والادباء والشعراء وغيرهم كيف لا وهو الحافظ الكبير الجامع لاشتات العلوم والمعارف معقولها ومنقولها . لكنه فضل ان يعيش عيشة الاحرار والائمة الكبار الذين لا يدينون للمخلوقات بولاء فارتفع عن هذا المستوى الذى تعيش فيه هاته الجماعة وفضل بمحض اختياره أن يترك مراكش وينزوى فى منطقة بعيدة تشبه اطراف المعمور ، بقرية منها تسمى أولاد الحاج على ضفاف وادى زيز من أرض مدغرة ، مقتنعا بما تدره عليه أوقاف تلك القرية الحقيرة . وهناك تفرغ للعبادة ونشر العلم وتدوين الكتب التى لم يصل الينا منها — ويا للاسف — الا اسماؤها البراقة وأوصافها التى تدل على قيمتها . واشتغل كذلك بقرض الشعر فى التضرع الى مولاه وفى مديح الحضرة النبوية .

تلكم كانت بعض الخصال التى تحلى بها هذا الامام الكبير . ولذلك لا تعجب اذا راينا تأثيره الهائل يجر ذيله على بعض الاجيال التى جاءت بعده افرادا وجماعات . وذلك باقتدائهم به فى السلوك والعبادة والجد والاستقامة وتطبيق العلم على العمل ذلك التطبيق الذى يترجم الافكار والنظريات الى واقع محسوس . وصلاح ملموس . وتبتدىء هذه السلسلة بنخبة طيبة من تلاميذته المخلصين وابنائه الروحيين من امثال البوسعدى الهشتوكى ، وابى عبد الله المرغتى ، وابى بكر التطافى وابى حامد العربى الفاسى ، ونجله الابر مولاى عبد الهادى ، وغيرهم من الاعلام الذين كانوا يمثلون معالم الصوى والمنارات المضيئة للوصول الى المنابع الفكرية والاشعاعات العلمية والاشراقات النورانية . فالمؤسسون الاولون للزاوية الناصرية قد اقتبسوا من انوار هذا الامام ومعارفه بواسطة المحدث المرغتى وتلميذه العلامة اليوسى ووشحوا صدور اجازاتهم العلمية بالتبرك باسم هذا الامام ومناقبه وتباهوا بربط نسب ثقافتهم بمعلوماته الواسعة وهكذا الحال فى الزاوية الدلائية التى كان لها اتصال متين بهاذين العالمين الكبيرين بل وبالامام نفسه اما اتصالات الزاوية الفاسية بهذا الامام فقد سجلها لنا ابو حامد العربى الفاسى فى مرءاة المحاسن . وذلك بتأكيده على ما كان بينه وبين الامام من المحبة الصادقة والالفة الاكيدة والفوائد المتبادلة الامر الذى يؤكد فى وضوح ومن غير التباس راينا فيما نذهب اليه من الابوة الثقافية والروحية التى كانت لهذا الامام على الكثير من الافراد والجماعات بقى اريجها الطيب وعبيرها المتضوع ينتقل من شخص الى شخص ومن عصر الى عصر الى يوم الناس هذا (1) .

ابن طاهر والدعابة البريئة

الدعابة هى لون من الوان الفكاهة التى تثير الانبساط والانشراح وتحرك الشعور بالابتهاج والمرح . وهى اخف امهات الباب من سخرية وتهكم ولذع وهجاء ومزاح الى غير ذلك من الامور التى تبعث على الابتسام الخفيف أو على الضحك العالى الذى يشرح الصدور ويريح الاعصاب ويحطم القيود وينمى ملكة النقد وينبه الى الاخطاء .

والدعابة هى فكاهة المشايخ اهل التجلة والوقار . وصدور القوم اهل المروءة والاحتشام . لان مكانتهم تفرض عليهم ان لا يتحدثوا الا بما يبعث الابتسامة الخفيفة التى تتلاءم مع هيبتهم ولا توذى غيرهم والتى ليست مشحونة بالمكر والخديعة ولا ممزوجة باللذع الخبيث او بغير ذلك من السموم التى تؤلم الضحية المسكينة والفريسة الوديعة .

---

(1) فتح الملك الناصر فى اجازات بنى ناصر لمحمد بن موسى بن محمد بن ناصر مخطوط . مرءاة المحاسن لابى حامد محمد العربى الفارسى ط فاس ص 186 . فهرس الفهارس للشيخ عبد الحى الكتانى ج 1 ص 252 .

وتحتاج الدعابة الى مزيد من الذكاء واليقظة أمام المناورات اللفظية والمراوغات الكلامية التى تدل على الفطنة والنباهة . دخل النبى عليه السلام على عثمان رضى الله عنه وهو ارمد فوجده يأكل تمرا فقال له اتاكل تمرا وانت ارمد ؟ فأجابه عثمان على البداهة بقوله انما آكل على الجانب الاخر .. !

وقد كان النبى عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا (1) فقد قال لاحدى عماته لا تدخل الجنة عجوز . وحينما جزعت من ذلك تلى قول الله تبارك وتعالى (انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين) وكان من بين قدماء الصحابة مضحك مشهور بدعابته اسمه نعيمان وكان رجلا صالحا مع ما فيه من دعابة وكثيرا ما كان يضحك النبى عليه السلام حتى قال فيه بعد موته دخل نعيمان الجنة ضاحكا لانه كان يضحكنى (2) .

وقد كانت لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه المكانة العليا فى الدعابة حتى صار مضرب الامثال فيها بسماحة اخلاقه وتبسمه البرىء وطلاقة محياه وبشر وجهه وحتى عابه المناوئون له بذلك فقال معاوية فيه رحم الله ابا حسن فلقد كان هشاشا بشاشا ذا فكاهة وقال عمرو بن العاص فيه انه لذو دعابة شديدة وقال له عمر بن الخطاب ذات يوم لله ابوك لولا دعابة فيك قال عز الدين ابن ابى الحديد وقد بقى هذا الخلق متوارثا ومتناقلا فى محبيه واوليائه الى الآن (3) .

وبهذا كله يتضح لنا ان الدعابة الحلوة هى ربيع القلوب ونزهة النفوس ومرتع السمع ومكمن الراحة وهدف السرور ومبعث الانشراح والانبساط قد مارسها الانبياء المرسلون والصحابة الاكرمون والعلماء المجتهدون . قيل لسفيان الثورى ان المزاح هجنة . قال لا بل هو سنة (4) .

وقد اشتهر صاحب الترجمة عند اهل عصره بخفة الروح وكثرة الدعابة حتى حاز قصب السبق فى هذا المضمار يقول تلميذه المتبتل احمد على السوسى الهشتوكى وكانت فيه يعنى صاحب الترجمة دعابة لا تفارقه ابدا . ولعل هاته الدعابة البريئة التى لازمته لزوم ظله طول حياته قد كان لها القسط الاكبر فى التجنى عليه وتحمل المسؤولية فيما رمى به من الامور التى تنقص من قيمة حفظه . فاصحاب الدعابة معروفون بالمرح والانبساط الامر الذى يتنافى فى نظر المتزمتين مع طبيعة المحدثين الذين يجب عليهم ان يكونوا معروفين بالوقار والسكينة مبتعدين عما يخل بمنصبهم . ولكن ابن طاهر الذى كان يحمل بين جنبيه روحا مرحة ودما خفيفا لم ينال بشىء من هاته القيود المصطنعة . فلم يكن فى يوم ما من المتكلفين الذين يتحلون بما ليس فى طبيعتهم فهو سائر فى اقواله واعماله على هدى من ربه وبينة من أمر دينه الذى تقول مبادئه وشعارته : روحوا هاته القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت . وتقول ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وتقول لن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا الى آخر ما هو مدون فى امهات كتب الحديث .

ومن امثلة دعابة هذا الحافظ المتفتح ومستظرفاته اللطيفة ما حكاه البوسعدى الهشتوكى من ان فئة من الناس يقال لهم بنو ابى يحيى كانوا يتطيرون من رؤية الهر ومن ذكره . ولا يذكرون اسمه فى اى وقت من الاوقات لا فى الليل ولا فى النهار خصوصا وقت الغداة وكان مسكن احد شيوخهم قريبا من مسكن صاحب الترجمة وكان هذا الاخير يأتى بهر صغير تحت ثيابه صباحا ثم يطرق باب الشيخ البويحياوى وعندما يفتح الباب يرمى له ابن طاهر بالهر بين يديه . وحينئذ يشتد غضب الشيخ فيقسم له لو فعل ذلك غيرك لقتلته . وقد علق الهشتوكى عند ذكره لهاته

---

(1) الادب المفرد للبخارى ص 77 ط طشقند .
(2) حدائق الازاهر لابن عاصم الغرناطى ص 68
(3) شرح نهج البلاغة المجلد الاول ص 8
(4) حدائق الازاهر لابن عاصم الغرناطى ص 68

الدعابة اللطيفة بانها لا تخلو من فائدة بالنسبة للبويحياوى . ذلك ان الحافظ كان يرمى الى وقوع الاستيناس بين الشيخ وبين الهر ليزول عنه كابوس الطيرة الذى لا اصل له فى الشرع (1) وهذا ما يؤكد ما قاله المرغتى سابقا من ان حركات صاحب الترجمة وسكناته كانت كلها علوما وفوائد (2) .

ابن طاهر وروح عصره .

تسيطر على المجتمع من حين لاخر فى كل قطر او فى عدة اقطار فكرة عامة يرتبط افراد ذلك المجتمع بها ويدخلون تحت لوائها فتكون عنوانا لمسايرتهم لروح العصر وشعارا لحيويتهم وذكائهم . وعلامة على متابعتهم لركب التقدم فتؤثر فيهم تأثيرا مختلفا فى القلة والكثرة وقلما يسلم فرد من الافراد من الخضوع الاجبارى لهاته الروح العامة . وقد كانت الفكرة العامة المهيمنة على العالم الاسلامى عموما . وعلى مغربنا بالخصوص مند عهد بعيد هى اعتناق مذهب من مذاهب الطرقية او تكوين شكل جديد فى اطارها . والايمان بما يزكى وجودها من باهر الكرامات والاخبار بالمغيبات وطى المسافات والمشى على الماء والقفز فى الهواء الى غير ذلك .

وقد كان العصر الذى ازدهرت فيه الافكار الاسطورية فى مغربنا هو عصر ابن طاهر ففيه اشتد ساعدها وترعرعت قوتها وقد بلغت اوج عظمتها وتحكمت فى الخاصة والعامة واذا كان المترجم قد سلم من الانغماس فيها انغماسا كليا فلابد من ان يكون قد اصابه رشاش من رشاشها . اما مباشرة او بواسطة وهذا ما يفسر لنا وجود رائحة من ذلك فى ترجمته التى اراد واضعوها ان تكون صورة صحيحة لحياته بيد ان الكثير من ذلك قد الصق به على ما يبدو من طرف اتباعه ومعتقديه (3) والقليل منه يتحمل مسؤوليته هو نفسه اذا صح النقل عنه . على ان ما وقع من هذا الصنف الاخير يمكن ان يفسر تفسيرا يتلاءم مع معارف الرجل وعلومه الصحيحة وعقيدته المتينة التى سبق لنا ان عرفناها من سيرته . ومن امثلة ذلك ما تحدث به تلميذه الفقيه العلامة ابو بكر التطافى رحمه الله قال دخلت على شيخنا العلامة الزاهد ابى محمد عبد الله بن على بن طاهر يوما وهو اذ ذاك بقرية اولاد الحاج من بلاد مدغرة فقال ان بنى يفوس — وهم اهل قرية من بلاد الخنق — وقع بينهم قتال . قال فقلت يا سيدى اجاء احد من هناك ؟ قال لا ولكن قلبى اخبرنى بذلك وقلبى لا يكذب على وقد جربته . وكان بينه وبين هؤلاء مرحلة قال فجاء الخبر بوقوع الامر كما اخبر به (4) فهذا الخبر الذى ظن التطافى وامثاله انه من قبيل الاخبار بالمغيبات عن طريق الكشف قد كفانا ابن طاهر نفسه مئونة تاويله حينما صرح بان قلبه قد حدثه بذلك فالاحاديث التى هى من هذا النوع تقع لكثير من الناس لا فرق بين برهم وفاجرهم وتفسر روحيا بانها من قبيل الالهام الذى يقذفه الله فى قلوب الاصفياء المخلصين . وعلميا بانها تدخل فى حيز الحدسيات والظنون القوية التى تقع للالماعيين الموهوبين فتجىء اخبارهم مطابقة للواقع كانهم شاهدوا ما وقع بأعينهم . **ويقرب من حادثة ابن طاهر ما رواه اصحاب المغازى قديما ان صحت روايتهم وهى ان عمر بن الخطاب رأى رؤيا مفزعة تتعلق بجيوش المسلمين فى نهاوند من أرض فارس ومن الغد اصبح يحدث الناس برؤياه وفجاة استبد به الجزع فقطع حديثه وهو فوق المنبر لكى يحذر عامله سارية من الكمائن المنصوبة لجيوش الفاتحين فصاح يا ساريةالجبل ! وفى تلك اللحظة التى كانت نفس عمر فى حالة قلق وخوف على الجيوش الاسلامية يمكن ان تتسلط نفحة من نفحاته على القائد فنفذ هذا رغبته كما يقع بين المنوم والمنوم فى التنويم المغناطيسى وبعد الفوز بالانتصار ربما تحدث سارية الى الناس بانه سمع هاتفا من السماء أو من داخل قلبه يحذره من الكمائن المنصوبة لجيوشه وهذا ما يعرف علميا بالصوت التلباثى TELEPATHIE الذى يعرف بالشعور بالمحادثة مع الغير عن بعد . فهذا هو التفسير العلمى لهاته الحادثة . اما تفسيرها الروحى فيكفينا هنا أن نشير الى ان عمر يحتل مكان**

---

(1) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

(2) فتح الملك الناصر فى اجازات بنى ناصر مخطوط

(3) يدعى بعضهم وجود تقييد كبير تحت يده يجمع الكثير مما نسب الى هذا الولى من خوارق وكرامات . فبذلت اقصى ما يمكن للاطلاع على هذا الكنز المخزون به على غير اهله ورغم المواعيد المرتوبية لم اتمكن من ذلك لانى نفخت فى غير ضرم .

(4) **صفوة من انتشر لليفرانى** ص 3

الصدارة فى قائمة الملهمين . كما جاء فى الاحاديث ان يكن فى هذه الامة محدثون فناهيك بعمر . هذا وقد اضطررنا الى ادماج هاته القصة هنا لكى نلقى مزيدا من الضوء على قصة التطافى مع شيخه ابن طاهر . ثم ان هاته التلاويلات وامثالها لا تتنافى فى نظرنا مع ولاية الاولياء ومزايا الاصفياء يقول سعد الدين التفتزانى فى تعريف الولى انه العارف بالله وبصفاته حسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى . المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات (1) ومما لا جدال فيه ان العلماء الحاملين لسنة الرسول المدافعين عنها يحتلون مكان الصدارة فى قائمة الاولياء ومنهم ابن طاهر طبعا فاذا لم يكن هؤلاء هم الاولياء فليس لله من ولى كما يقول محمد بن ادريس الشافعى .

ثم ان الكرامات التى تنسب عادة الى الاولياء ليست شرطا فى ولايتهم فقد تظهر على يدهم وقد لا تظهر اضف الى ذلك ان وقوعها نفسه لم يكن ابدا محل اتفاق بين علماء الملة الاسلامية فقد ذهب جمهور علماء الاعتزال وبعض المفكرين من غيرهم كالاستاذ ابى اسحاق وابى عبد الله الحليمى وغيرهما الى انكارها . او على الاقل الى تحديدها فى اطار ضيق وحجتهم فى ذلك انها تقدح فى المعجزات والنبوات والآيات القرآنية وذهب جمهور اهل السنة وامام الزهاد وسيد التابعين الحسن بن يسار البصرى الذى كان يرى راى المعتزلة ثم رجع عنه او الذى يحبذ الاعتزال القديم (2) الى اثباتها ووقوعها بالفعل لكثير من الاصفياء وحجتهم فى ذلك ان الله على كل شىء قدير وله ان يجرى ما شاء على يد من شاء من عباده المختارين الذين يريد اكرامهم بذلك . ويجيب الاخرون بقولهم نحن معكم على ان الله على كل شىء قدير ولكنه جعل لكل شىء سببا مقدرا . ولكل مقدمة نتيجة محتومة وهكذا يستمر الجدال والنزال وقرع النصال بالنصال فى هاته المعركة التى لا تنهى ولن تنتهى ما دام الصراع بين الحزبين المتضادين . وتبقى مسئلة الكرامة بينهما فى اخذ ورد الى ان يشاء الله . ولكل وجهة هو موليها . وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا .

مؤلفات صاحب الترجمة .

قد اسهم المترجم بانتاجه فى ميدان التاليف بقسط لابأس به من المؤلفات القيمة التى لا زال صداها الطيب يرن فى كتابة تلميذيه البارين الهشتوكى والمرغتى حيث نوه كل منهما بهاته المؤلفات تنويها طيبا بيد ان يد التلف والضياع قد لعبت بها لعب الشمول حيث لم يصل الينا منها الا اسماؤها البراقة وبعض الجمل التى تتحدث عن موضوعاتها والتعريف بها وعن الاذن للتلميذين فى روايتها ودخولها فى الاجازة العامة لهما يقول المرغتى (3) فى اجازته لبنى ناصر متحدثا عن ذلك : وقد اباح لى رحمه الله رواية ما قرأته عليه ورواية ما قراه هو على شيوخه وما وضعه من التاليف فى كل علم نظما ونثرا وها هى اسماؤها وموضوعاتها مرتبة حسب اهميتها :

1) كتاب الدر الازهر المستخرج من بحر الاسم الاطهر موضوعه علوم القرآن جمع فيه اثنين وسبعين فنا من فنون القراءات واحتذى فيه حذو الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى لكنه اربى عليه وتعرض فيه كذلك لاسماء النبى صلى الله عليه وسلم وعد منها الف اسم التقطها من مؤلفات العلماء وبالاخص

---

(1) شرح العقائد النسفية ص 134

(2) قصة انطلاق مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء من مدرسة الحسن البصرى معروفة بيد ان المؤرخين الاعتزاليين انفسهم والدارسين للمذهب يرون ان الجذور الاولى لتشكيل الاعتزال قد ظهرت فى المجتمع وقبل حادثة الحسن البصرى مع واصل بن عطاء بنحو قرن من الزمان وذلك اثناء وقعة الجمل او فى وقت حروب على ومعاوية او فى الظروف التى اعتزل فيها الحسن بن على السياسة وسلم الامر الى معاوية على اقل تقدير حينما اعتزلت فئة من الناس المجتمع وتفرغت للعبادة والدراسة التفكيرية وعلى ذلك فهم لا يكتفون بادخال الحسن البصرى فى المذهب بل يذهبون الى ان الكثير من ائمة اهل البيت يرون هذا الراى وذلك مثل زيد بن على وعبد الله الكامل وابنائه . وايا ما كان فالمذهبان الزيدى والاعتزالى توأمان شقيقان . فضل الاعتزال . وطبقات المعتزلة . وفجر الاسلام لاحمد امين =
= وتاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة

(3) مرغته مداشر فى عدد الاخصاص بسوس وهى بالميم المفتوحة فراء مهملة ساكنة فغين معجمة مكسورة (الصفوة 177) من غير ياء كما هو جار على الالسنة ووجد بخط من يعتمد بالياء قبل الراء (فهرس الفهارس ج 1 ص 417) ينطق السوسيون اليوم بالغين خاء فيقولون مرخت ومرختى وهى بناحية تيزنيت (الزاوية الدلائية 96)

من عارضة الاحوذى لابن العربى وتعرض كذلك للسماع واوصاف المتفقرة .

2) حاشية على المرادى شرح الفية ابن مالك فى علم النحو

3) عقيدتان بديعيتان صغرى وكبرى موضوعهما علم التوحيد ومما يدل على تمكنه من علوم الصناعات اللفظية واللغة انه اقتصر فيهما على الحروف التى اشتملت عليها سورة الاخلاص وعددها ثلاثة عشر حرفا ولم يدخل فيها غير ذلك من حروف المعجم ولذلك جاءتا من الصعوبة بمكان لانه صار يرتكب فيهما الغريب من الالفاظ اللغوية حيث حصر نفسه فى هذا النطاق الضيق .

4) اجوبة وفوائد املاها على تلميذه الهشتوكى

هذا كله فى ميدان النثر واما فى ميدان النظم فله ما يأتى .

5) نظم فى مصطلح الحديث

6) وله ديوان شعر فى الامداح النبوية (1) *

وفاته ومدفنه

لا غرابة فى كون ميلاد صاحب الترجمة لم يصل الينا بصيغة التدقيق وكل ما فى الامر انه ولد بعد الستين وتسعمائة . وذلك انه دخل الى هاته الدنيا كما يدخل اليها جميع الناس فلم يكن هناك ما يثير الاهتمام بهذا الميلاد الذى تشهد جميع الاسر مثله بين حين وآخر فالحالة المدنية التى تلزم الاباء بتسجيل اسماء ابنائهم وقت ميلادهم فى دفاتر الحكومة لم تكن معروفة فى ذلك الوقت بل لم تكن تدور حتى فى خلدهم وانما الغرابة فى وقت مماته الذى تشعب فيه الخلاف تشعبا اكثر من اللازم مع انه فى هاته الحالة يكون قد فرض شخصيته على المجتمع باعماله التى انجزها طول حياته . وتوفر على الابناء والاخوة والاصدقاء الذين يهتمون بتسجيل وفاته لسبب او لآخر ومع هذا فيقول المرغتى فى اجازته لبنى ناصر توفى رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثانى عشر من جمادى الثانية عام اثنين واربعين والف 1042 بمدغرة ودفن خارج قرية اولاد الحاج . اما الهشتوكى فيقول فى بذل المناصحة كما فى نشر المثانى ان الوفاة كانت فى شهر جمادى الثانية عام اربعة واربعين والف دون تحديد للزمان واليوم وعدده من الشهر زيادة على الفرق الكبير فى السنوات ونقل القادرى عن فهرسة السيد الطيب بن محمد الفاسى ان الوفاة كانت عام خمسة واربعين والف وهو الذى درج عليه اليفرنى . ورجح القادرى رواية الهشتوكى لانه كان معاصرا وحاضرا لعصر الوفاة وليس من رأى كمن سمع . ويظهر انه لم يطلع على رواية المرغنى التى تتوفر على ما هو موجود فى رواية الهشتوكى من الترجيحات وتزيد عليها بان صاحبها امام فى التوقيت يهتم بالزمان والمكان لا يكاد يضحى منه بلحظة واحدة حتى لكانه كاد ان يضع اصبعنا على اللحظة الاخيرة من حياة المترجم حيث يقول عند طلوع الشمس من يوم السبت الثانى عشر من جمادى الثانية ولم يكتف بكتابة ذلك بالحروف بل وضعه حتى بالارقام . لهذا كله نرجح روايته على غيرها .

وبعد موته بمدة طويلة بنيت عليه قبة انيقة يقال انها من تشييد اسرة اليمانيين ابناء الشيخ احمد اليمانى نزيل فاس والمتوفى عام 1114 هـ ويؤكد ذلك ما شيد اليمانيون من منشآت اخرى قرب الضريح وما كان معروفا بين العائلتين من صداقة واخاء ومودة والتحام بالمصاهرة والتوارث فقد تزوج حفيد صاحب الترجمة مولاى العابد بن على بن عبد الله كريمة الشيخ المذكور السيدة الزهراء وبقيت فى عصمته حتى توفيت فورثها . وتحت اليد الآن صورة فتوغرافية

---

(1) النشر المخطوط والمطبوع ج 1 ص 166 وفتح الملك الناصر مخطوط والصفوة ص 4

* بعد كتابة ما تقدم وقع العثور على كتاب فى فضل الجهاد . ولولا ذلك لم تعرفه كتب التاريخ التى عنيت بترجمته . اسمه مراقى الجنة . وهو مدرج تحت عدد 2993 بالخزانة الملكية بالرباط . مطلعه الحمد لله الشهيد على اعمال عباده . العليم بمن جاهد فيه حق جهاده جاعل حماية البيضة بقتال العدو من اوكد الفرض ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض . كاتب المقال .

لوثيقة المخارجة الواقعة بين العائلتين فى شأن الرباع والعقارات بفاس ونواحيها التى ءالت الى ابناء هذا الشريف من هاته السيدة وهى مؤرخة اواسط رجب الفرد عام ثمانية واربعين ومائة والف . وتادية القاضى يعيش بن الرغاى الشاوى وقد اخبرنى احد قضاة العدل اطال الله بقاءه انه وقف على وثيقة وقف لاراضى ومزارع فلاحية على الاسرة اليمانية ومن فصولها انها اذا انقرضت العائلة اليمانية يئول الوقف الى ضريح صاحب الترجمة الامر الذى يؤكد ما قلناه من شدة الارتباط المادى والروحى بين الاسْرتين رحم الله الجميع .

افشاء السلام من الاسلام

.... قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان :

الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار .

* * *

حدثنا قتيبة قال حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

صحيح البخارى ، ج : 1 ص : 14

حكمة العقوبة الإسلامية على السرقة

بقلم الاستاذ طارق احمد حجي
استاذ القانون الجنائي بكلية الدراسات القانونية والاقتصادية والاجتماعية بجامعة محمد بن عبد الله بفاس

تكمن حكمة العقوبة الاسلامية على السرقة — أو فلسفتها — وهي القطع — في المعنى الدقيق للآية القرآنية التي قررت تلك العقوبة ، ففي الآية الثامنة والثلاثين من سورة المائدة يقول الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) .

وسوف احلل نص هذه الآية تحليلا احاول من خلاله اجلاء فلسفة الشريعة الاسلامية في عقوبتها على السرقة ، وبيان الركائز التي ترتكز عليها حكمة تلك العقوبة ، وذلك على خمسة مدارج ، يتناول اولها كلمة (جزاء) وثانيها كلمة (كسبا) وثالثها كلمة (نكالا) من الله ، ورابعها كلمة (فاقطعوا) ايديهما ، ويتناول خامسها — اخيرا — كلمة (عزيز) .

1 — الجـــزاء :

اما الجزاء فمعناه ان العقوبة هي عدل الجريمة ، المساوي والمكافيء لها ولآثارها وللاضرار المترتبة عنها ، ولا يعني ذلك ان العقوبة تتلاقى مع ذات الجريمة وتساويها كما ، فالعقوبة ليست مساوية لذات الشيء المسروق ، ولا متساوية مع الاضرار التي تنزل بالمسروق منه ولكنها مساوية لكل الآثار الناجمة عن الجريمة . فهي جزاء على اخذ المال ، ولو كانت جزاء على ذلك فحسب لوجب ان تكون العقوبة مساوية لذات الشيء المسروق — برده مثلا او تغريم السارق قيمته — ولكنها ايضا جزاء على الاعتداء على ثمرة عمل انسان آخر ، وجزاء على التفاضي عن السبيل المعترف به اساسا للرزق ولاتيان المال وهو العمل ، وجزاء على ما تحدث من ترويع وافزاع وذعر ، وجزاء على الاختفاء ، وجزاء على ترك الناس ينامون غير مطمئنين في سروبهم ودورهم (1) وهم في فزع دائم وبلبال مستمر (2) لان ظهور لص قوي جريء في منطقة من المناطق يجعل اهلها غير مطمئنين على انفسهم واولادهم ودورهم واموالهم وما يملكون وما يعملون ، فهم يتوقعون كل شيء ، يتوقعون ضياع المال وخطف الاولاد (3) .

فسرقة واحدة تصيب الناس بالذعر ، وسرقة واحدة تفتح الابواب امام السارق ليدلف منه — مرارا — الى سرقات اخرى (4)

عقوبة السرقة اذن جزاء للسارق على ما اتى ،

---

1) محمد ابو زهرة : فلسفة العقوبة في الفقه الاسلامي القسم الثاني ، من منشورات معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية (1966) ، صفحة 10 .
2) المرجع السابق . صفحة 10 .
3) ابو زهرة : فلسفة العقوبة ، جزء 2 ، صفحة 10 .
4) د . احمد عبيد الكبيسي : قطع يد السارق في الشريعة الاسلامية ، مجلة العربي (الكويت) العدد 166 سبتمبر 1976 صفحة 61 .

وبالتالى فهى اداة لتحقيق العدل والمقصود بالعدل هنا هو الشعور المستقر فى ضمير الافراد والذى مضمونه ان الشر او العدوان شىء واجب الدفع ، وان عدم دفع الشر أو العدوان هو ظلم محض ، والظلم عكس العدالة ونقيضها .

ومهما قيل فى شأن العدالة وفى انها أمر نسبى وغير ذى سند علمى ، فان القدر المتفق عليه هو انه فى كل مجتمع تكون هنالك امور يعتبرها الشعور المستقر فى ضمير الافراد ظلما . وان من العدل دفع هذا الظلم (1) .

والاسلام يعتبر الاعتداء على ثمرة عمل الآخرين وبث الفزع والذعر فى حياة الناس وتكدير امنهم ظلما ، ويعتبر العدل — كل العدل — فى دفع الظلم .

2 — الكسب :

يقول الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا) . والكسب هنا هو كسب الشر ، والكلمة تعطى بمفهوم المخالفة . معنى ان العقوبة لفاعل مدرك مختار غير مضطر ولا محتاج . والا لما استقام معنى الكسب ، ولتساوى الكسب والاكتساب . ولكن الكلمة شديدة التأكيد بعد ذلك على معنى آخر ، وهو ان المفروض فى الانسان ان يكسب بالحلال اى بالعمل ، لا بالحرام اى بالسرقة .

والله تعالى لم يستعمل كلمة (جزاء بما فعلا) ولا (بما سرقا) ولكنه قال (بما كسبا) ، لاننا بصدد الكسب ، والكسب اما حلال مشكور ، واما حرام منكور .

والآية ايضا تقول (بما كسبا) وليس (لما كسبا) .

فالسارق يكسب ما يسرقه بيده ، والتى هى اداة وجدت للكسب المشروع والآية ايضا تشير الى ان الجزاء يلحق باداة كسب الحرام وهى اليد (جزاء بما كسبا) ، فلان اليد اداة للكسب الحلال اساسا واستعملها صاحبها للكسب الحرام بالسرقة فقد جوزى بالذى كسب به الحرام .

3 — نكالا :

والعقوبة — قطع اليد — فضلا عن كونها جزاء للسارق ، فهى « نكالا من الله » والنكال لغة هو المنع وليس العذاب كما هو شائع :

— فنجد فى لسان العرب : (نكل عنه ينكل وينكل نكولا ونكل : نكص . يقال : نكل عن العدو وعن اليمين ننكل ، بالضم ، اى اذا خاف ان يعمل بعمله . . . .

(ويقال : نكلت بفلان اذا عاقبته فى جرم أجرمه عقوبة تنكل غيره عن ارتكاب مثله . . . .

(ونكل بفلان اذا صنع له صنيعا يحذر غيره منه اذا رآه) (2)

وفى القاموس المحيط : ونكل به تنكيلا ، صنع به صنيعا يحذر غيره (3) . . . . (والنكل بالكسر القيد الشديد)

— وفى المصباح المنير : **(نكل اذا اراد ان يصنع شيئا فهابه) (4)**

---

(1) وذلك يطابق ما قاله المؤلفان الفرنسيان : Schmelk, Picca (وبالتوفيق تطابق هذه الفكرة الحقيقية الاجتماعية ، لانها تعبر عن شعور شعبى عميق ، شعور بالحاجة الى العدل الذى يريد مكافأة الطيب ومعاقبة الشرير وسواء كان هذا الاحساس يعد خطأ ميتافزيائيا أم لا : .. فالمهم هو ان هذا الاحساس موجود ، وانه واقع اجتماعى وبالتالى لا يمكن اهماله) راجع : Robert. Schmelck et Georges Picca : Pénologic et Droit Pénitentiare, Edition Cujas, Paris, 1967, page 130.

وفى هذا يقول الدكتور احمد محمد خليفة عن الاتجاه المنكر للعدالة المتمثلة فى الجزاء عن فعل آثم : (واخيرا فان هذا المذهب يغفل الضمير الاجتماعى الذى يؤمن بالمسؤولية والجزاء) . راجع مؤلفه بعنوان : النظرية العامة للتجريم ، دار المعارف بمصر ، 1959 م ، صفحة 34 .

(2) الامام ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى ، لسان العرب ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ، 1956 م (1375) هـ المجلد الحادى عشر ، صفحة 677 .

(3) و (3) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى : القاموس المحيط مؤسسة الحلبى وشركاؤه للطبع والنشر (بدون تاريخ) ، المجلد الرابع صفحة 60 .

(4) احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، الطبعة الخامسة (1922) الجزء الثانى ، صفحة 809 .

— وفى مختار الصحاح : (النكل) بوزن (الطفل) القيد ، وجمعه انكال ونكل به تنكيلا ، اى جعله نكالا وعبرة لغيره (1)

وفى مفردات الراغب الاصفهانى : (يقال نكل عن الشىء ضعف وعجز ، ونكلته قيدته ، والنكل قيد الدابة وحديدة اللجام لكونهما مانعين (2)

وفى تفسير غريب الفاظ القرآن للامام ابى زرعة العراقى : (نكل اى عقوبة انكالا فسره قيودا واغلالا) (3)

ويقول المرحوم محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار ، فى تفسيره لآية السرقة بسورة المائدة : (جزاء بما كسبا نكالا من الله) : هذا تعليل للحد ، اى اقطعوا ايديهما جزاء لهما بعملهما وكسبهما الشىء ، نكالا وعبرة لغيرهما ، فالنكال مأخوذ من من النكل ، وهو (بالكسر) قيد الدابة ونكل عن الشىء عجز أو امتنع لمانع صرفه عنه ، فالنكال هنا ما ينكل الناس ويمنعهم ان يسرقوا) (4) (5)

قال تعالى : (ان لدينا انكالا وجحيما) ، ويقول احد الباحثين المعاصرين : (نكلت به ، اذا فعلت به ما ينكل به غيره — اى أن يمنع غيره ان يفعل فعله —) وقال تعالى : « فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها » اى عبرة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب النكل على النكل » ، اى الرجل القوى على الفرس القوى ، (6)

وقد يقال ان هذا المعنى لكلمة « نكالا » ، انما هو محض أصل لغوى للفظ ، لا يجارى الاستخدام العربى له ، بمعنى عذابا وارهابا . وهذا قول واهن ، يدحض بما يروى من ان عمر بن الخطاب خطب يوما فى الناس ، فقال (لوددت انى واياكم فى سفينة فى لجة البحر، تذهب بنا شرقا وغربا ، فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم ، فان استقام تبعوه وان جنف قتلوه » فقال طلحة : « وما عليك لو قلت ، وان تعوج عزلوه ؟ » فرد عليه عمر بقوله : « لا ، القتل انكل لمن بعده » (7) ، اى ان القتل انجع لانه يمنع من يأتى بعده ، من ان يجنف جنفه .

اذن ، (النكال) هو (المنع) لغة عند العرب ، واستخداما لديهم ولا معنى غير ذلك للكلمة .

والمنع المقصود هنا : منع السارق من أن يعود الى السرقة مرة اخرى ، وهو ما يعبر عنه حديثا بالمنع الخاص ، وهو ايضا — بل ان هذا هو المستفاد أو لا من المعنى اللغوى لكلمة نكالا — منع غير السارق من اتيان ما اتى السارق وهو ما يعبر عنه حديثا بالمنع العام . فاذا كانت عقوبة السرقة جزاء للسارق وبالتالى تعد اداة تحقيق العدل كما اسلفت ، فان النكال أو المنع — بوجهيه — هو اداة تحقيق مصلحة المجتمع المهدرة بالسرقة .

---

(1) محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ؛ المطبعة الاميرية بالقاهرة (1926) صفحة 679 .
(2) الراغب الاصفهانى : معجم مفردات الفاظ القرآن ، دار الكاتب العربى (بيروت بدون تاريخ) ، صفحة 527 .
(3) انظر الفية الامام ابى زرعة العراقى فى تفسير غريب الفاظ القرآن ، بهامش تفسر الجلالين ، المرجع السابق ، صفحة 564 .
(4) انظر تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، تأليف الاستاذ محمد رشيد رضا ، دار المنار ، الطبعة الثانية (1367 هـ) ، الجزء السادس ، صفحة 380 ،
(5) راجع ايضا نفس المعنى لكلمة « نكالا » بمعنى قيدا ومنعا فى : — محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت ، الطبعة 3 المجلد 10 ص 350 .
— محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية المنشاة بجمالية مصر المحمية ، الطبعة الاولى ، سنة 1306 هـ ، المجلد الثامن ، صفحة 145 .
— محمد اسماعيل ابراهيم : قاموس الفاظ واعلام القرآن . دار الفكر العربى ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1966 ، صفحة 390 .
— د . احمد عبيد الكبيس : الحكم بقطع يد السارق فى الشريعة الاسلامية ، مجلة « العربى » الكويتية ، العدد 166 ، سبتمبر 1972 (رجب 1392 هـ) ، صفحة 22 .
— محمد ابو زهرة : فلسفة العقوبة ، الجزء الثانى . المرجع السابق ، صفحة 5 .
(6) محمد ابو زهرة : فلسفة العقوبة — الجزء الثانى ، المرجع السابق ، صفحة 5 .
(7) انظر ، عبد القادر عوده : التشريع الجنائى الاسلامى الجزء الاول ، صفحة 45

4 ــ فاقطعـــوا :

ولكن اذا كانت الشريعة الاسلامية ترى وجوب ان تكون العقوبة على السرقة جزاء ونكالا ، فهل عقوبة قطع اليد كفيلة بتحقيق هذا المعنى المزدوج :

الجزاء والنكـــال ؟

ويبقى بعد ذلك سؤال آخر هو : هل لا توجـد عقوبات اخرى يمكن ان تحقق نفس المغزى وتكون جزاء للسارق ونكالا ، اى مانعا له ولغيره فى عين الوقـت ؟

ان علة اختيار القطع بالذات كعقوبة للسرقة ، تكمن فى (ان السارق حينما يفكر فى السرقة ، انما يفكر فى ان يزيد كسبه بكسب غيره ، فهو يستصغر ما يكسبه عن طريق الحلال ويريد ان ينميه عن طريق الحرام ، وهو لا يكتفى بثمرة عمله فيطمع فى ثمرة عمل غيره ، وهو يفعل ذلك ليزيد من قدرته علـى الانفاق او الظهور او ليرتاح من عناء الكد والعمل او ليأمن على مستقبله ، فالدافع الذى يدفع الـى السرقة يرجع الى احد هذه الاعتبارات وهو زيادة الكسب او زيادة الثراء ، وقد حاربت الشريعة هذا الدافع فى نفس الانسان بتقدير عقوبة القطع لان قطع اليد او الرجل يؤدى الى نقص الكسب ، اذ اليد او الرجل كلاهما اداة للعمل أيا كان ، ونقص الكسب يؤدى الى نقص الثراء ، وهذا يؤدى الى نقص القدرة على الانفاق وعلى الظهور ويدعو الى شدة الكدح وكثرة العمل والتخوف على المستقبل ، فالشريعـة الاسلامية بتقديرها عقوبة القطع دفعت العوامـل النفسية التى تدعو لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرف عن جريمة السرقة ، فاذا تغلبـت العوامل النفسية الداعية وارتكب الانسان الجريمة مرة ، كان فى العقوبة والمرارة التى تصيبه منها ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة مرة ثانية (1) .

يقول احد رجال الرعيل الاول من القانونيـين المصريين فى مطلع هذا القرن : (وربما يتوهم فى بادىء الامر ان هذه العقوبة شديدة ، ولكن عند امعـان النظر نجد ان الشارع حكيم ، وضع الشىء فى محله لان الغرض من العقوبة انما هو الزجر عن ارتكاب سببها سواء كان بالنسبة للمرتكب أو لغيره) (2)

ويقول احد الفقهاء المعاصرين (3) : (ليسـت عقوبات الرجم او قطع اليد او الصلب او قطع الايدى والارجل من خلاف وقفا على الشريعة الاسلامية ، فقد عرفتها الشرائع الاخرى قبل الرسالة المحمدية وبعدها حتى منتصف القرن الثامن عشر فى اوروبا ذاتها ، ولم تبدأ فى الزوال الا تحت طرقات الثورة الجنائية الاولى بزعامة « بكاريا » . . اما عن وظيفـة الحدود الشرعية فانها لا تخرج عن الوظيفة المزدوجة للعقاب فى اى دين من الاديان ، ونعنى بها التكفير عن الذنب من ناحية والمنع الخاص والعام حماية للمجتمع من ناحية اخرى وكلتا الغايتين لا ترتهنان حتما بنوع معين من العقوبات او بوسائل واساليب محـددة لتنفيذها) .

والذى يهمنى ــ هنا ــ ليس التعرض لهذا النظر فى مجمله ، ولكن فقط التعرض له من خلال موضوع هذا البحث ، وهو جرم السرقة فحسب .

وفى ذلك اقول : ان صاحب تلك الفقرة ، يرى ان وظيفة العقوبة الاسلامية للسرقة وهى القطع ــ هى التكفير عن الذنب من ناحية والمنع الخاص والعـام حماية للمجتمع من ناحية اخرى ، ويرى ايضا ان كلتا الغايتين ــ التكفير والمنع ــ لا ترتهنان حتما بنوع من العقوبات او بوسائل واساليب محددة لتنفيذها ، وهـذا ما اخالفه فيه ، اما لمـاذا المخالفة ؟ . . . . فاننى ارى ان محك التفرقة بين عقوبة القطع وبين سواها من العقوبات ــ التى يقول بانها يمكـن ان

---

(1) عبد القادر عودة : المرجع السابق ، الجزء الاول ، صفحة 652 .

(2) هو المرحوم عمر لطفى : الوجيز فى القانون الجنائى ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى مطبعة الشعب بشارع محمد على (بدون تاريخ) صفحة (ث) من الباب الثانى من المقدمـة .

(3) هو الدكتور على راشد فى مقاله : « أضواء على مشروع التقنين الجنائى الاجتماعى ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، السنة التاسعة ، العدد الاول (يناير 1967) صفحة 141 .

تحقق الغايتين وهما التكفير والمنع — يكمن فى ان تلك العقوبات الاخرى شديدة وقاسية ومرهبة فحسب ، اما عقوبة القطع الاسلامية فتنفرد — دون سواها — بمضمون خاص مؤداه انها عقوبة على السرقة من جنس الدافع على اتيانها ، فاذا كان السارق — كما ذكرت من قبل — يسرق بغية زيادة الكسب ، فتمتد يده بالحرام فان العقوبة الاسلامية للسرقة تعاقبه من جهة بما ينقص الكسب ويقصر اليد عقابا ، وهما ما اراد لهما صاحبهما ان يزيدا او يطولا حراما ، وهى من جهة اخرى تمنعه من معاودة السرقة وتمنع غيره من اتيان ما اتى السارق ، بخوف فى محله ومكانه واتجاهه ، فالارادة الى زيادة الكسب ، والخوف من نقص ذلك الكسب ، وبالتالى فاننى لا ارى ان هناك عقوبة اخرى تحقق هاتين الوظيفتين اللتين تحققهما العقوبة الاسلامية على السرقة ، وبنفس الدرجة .

كما اننى لا ارى ان وظيفة العقوبة الاسلامية هى التكفير ، فالتكفير امر معنوى يكون فى الاسلام بالتوبة والعمل الصالح ، (فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) (1) . والدليل على ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم طلب من احد السارقين بعد ان قطعت يده ان يتوب الى الله (2) ولكن وظيفة عقوبة القطع انها جزاء السارق على ما اتى من اعتداء خفى مستتر على اموال الناس واستقرارهم وامنهم ، التكفير اذن امر ذو مضمون دينى والجزاء عقاب دنيوى يحقق مصلحة الجماعة والمجتمع ، وفى هذا يقول احد الباحثين : (ولو كان من اهداف العقوبة الاسلامية التكفير ، لما قال الله تعالى بعد بيان عقوبة المحاربين . « ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) (3)

ولكن هل يصح بعدما سلف ان اقول : ان العقوبة الاسلامية على السرقة ترتكز على ركيزتين ، وتستهدف غايتين هما : الجزاء والنكال ؟ او بصيغة جنائية عصرية العدالة والمنفعة ، وبذلك اقول بتلاقى الفكر الجنائى الاسلامى مع فكر المدرسة التقليدية الحديثة Ecole Néo-Classique ومدارس الوسط (الاختيارية او الانتقائية) من بعدها ، وكلهم يتوخون من العقوبة كلتى الغايتين : العدالة والمنفعة .

اعتقد ان القول بهذا يكون ضربا من التعميم فقد قال دعاة المدرسة التقليدية الحديثة بالعدالة والمنفعة الاجتماعية كغايتين للعقوبة الجنائية ، ولكن قولهما هذا من جهة كان توفيقا بين اتجاهين فكريين ، وهما اتجاه النفعيين الاجتماعيين مثل شيرازى بكاريا وانسلم فويرباخ وجيرمى بنتام ، واتجاه العدالة المطلقة عند انصار ايمانويل كانط ، وقولهم هذا من جهة اخرى يتوخى من العقوبة غايتين مستقلتين تماما هما العدالة والمنفعة ، والامر فى الشريعة الاسلامية مختلف فى تاصيله عن هذا النظر ، فالشريعة الاسلامية من جهة لم تكن توفق بين مسارات فكرية متضاربة ، ومن جهة اخرى فانها لا توجد بين الجزاء والنكال (العدالة والمنفعة) ذلك الفصل الذى تقيمه المدرسة التقليدية الحديثة بين العدالة والمنفعة فالنص القرآنى يقول (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) ، والجزاء كما توضح الآية غاية للعقاب وكذلك النكال (المنع) ولكن الجزاء والنكال ينضويان معا فى طريق واحد ، فالجزاء الذى يحقق العدالة هو الجزاء نفسه — وبالعدالة التى يحققها — الذى يسدى للمجتمع وظيفة المنع والردع للسارق ذاته وللآخرين دونه من اتيان ما اتى .

فالجزاء ليس امرا منفصلا منعزلا عن النكال (المنع) ولكنه اداة له ، يقول الامام الالوسى : « القطع للجزاء والجزاء للنكال والمنع من المعاودة » (4) .

---

(1) سورة المائدة : الآية 39 .
(2) تفسير ابن كثير : جزء 2 ، المرجع السابق ، صفحة 570 .
(3) محمد الحسينى حنفى : أساس حق العقاب فى الفكر الاسلامى والفقه الغربى ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، السنة الثالثة عشرة ، العدد الثانى ، يوليو 1971 ، صفحة 427 .
(4) انظر أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت (بدون تاريخ) الجزء السادس ، صفحة 134 .

وهذا فهم صحيح للنص ، فعقوبة القطع جـزاء للسارق على مّا اقترف والجزاء فى حد ذاته يحقق العدل الذى هو فى عين الوقت المحقق لمصلحـة المجتمع بمنع الغير من اقتراف السرقة ، ويمنـع السارق من العودة للسرقة .

وهذا نتيجة منطقية لاستقراء النص القرآنى ، فالآية تقول (جزاء بما كسبا نكالا من الله) ... وعلى الفور يطرح لفظ (جزاء) سؤالين بديهيين : جزاء على ماذا ؟ ..... ولماذا ؟ اما عما يجازى عليـه السارق ، فهو العدوان الذى وضحـت جوانبه فى حديثى عن المصالح التى تحميها الشريعة الاسلامية بعقوبتها على السرقة . واما لماذا الجزاء ؟ .... فالنص القرآنى يوضح كما اسلفت : « جزاء بما كسبا نكالا من الله » ، و « جزاء بما كسبا » تفيد معنـى العقوبة لتحقيق العدل ولكن كان من الممكن الاكتفاء بهذا المعنى لو قالت الآية : « جزاء بما كسبا ونكالا من الله » ولكن الآية تدمج المعنيين معا : « جزاء بما كسبا نكالا من الله » ، فالعقوبة اداة الجزاء والجزاء يقيم عدلا اهدرته الجريمة ، والجزاء فى عين الوقت هو المانع والرادع من تكرار الجريمة على المستويين : العام والخاص .

5) عزيـز :

ومن الجوانب التى لم يشر اليها كثيرا فى بيان الحكمة من عقوبة الشريعة الاسلامية للسارق ، ان الاسلام لم ينظر الى سرقة المال بوصفها (اعتداء على نشاط السعى فى تحصيله فقط ، ولا اعتداء على تحقيق منفعة المال العامة بانفاقه فى مصاريف الترابط بين افراد المجتمع فحسب) ولكنها مع هذا وذاك تعد امتهانا لكرامة السارق نفسه فى انسانيته ، وهى كرامة الانسان الذى يجب ان يسعى بنفسه فى تحصيل فضل الله ورزقه ، وفى نشاطه الخاص فى السعى والتحصيل (1)

وهذا الجانب يستخلص من آية السرقة ذاتها حيث يقول تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) ، وهو يستخلص بالذات من وصف الله تعالى لنفسه بعد آية السرقة بالعزة والحكمة فاسماء الله فى القرآن (2) لا ترد عفوا او من باب اتمام الفاظ الآيات . لكنها تأتى فى موضعها ، شديدة الاتصال بمعانى الآيات ، بالغة الاكمال لهذه المعانى (3) كما هو الامر فى الايـات على سبيل المثال :

- (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) .
- (الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبيـر) .
- (يا أيها الانسان ما غرك بربك **الكريـم** ؟) .
- (او لم يكف بربك انه على كل شىء **شهيد** ؟) .
- (وعنت الوجوه **للحـى القيـوم**) .
- (**بديـع** السموات والارض) .

اما عن وصف اللـه لنفسه بعد آية السرقـة بالحكمة ، فلان عقوبة القطع احكم العقوبات حيث لا تضاهيها عقوبة فى ادائها لما نيط بها من وظائف واهداف .

واما عن وصف الله لنفسه بالعزة ، فلان الله

---

(1) محمد البهى : المادية فى مظاهرها وآثارها ، المقال الرابع ، اثرها فى جرائم المجتمع ، مجلة الوعى الاسلامى الكويتية ، السنة السادسة العدد 65 ، 4 يوليوز 1970 ، صفحة 12 .

(2) اسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسما ورد معظمها فى القرآن الكريم باستثناء بعض الاسماء القليلة كاسمائه تعالى : الجليل والواجد والماجد والرشيد والصبور ، انظر فى ذلك عبد المقصود محمد سالم فى ملكوت الله مع اسماء الله ، مطبعة الشمولى ، الطبعة الثالثة 1969 ، ص 75 ، 94 ، 120 .

(3) والى هذا اشار المرحوم الاستاذ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار حيث يقول : (وقد كانت العرب بدوها وحضرها ، تفهم من وضع اسماء الله تعالى فى الايات بحسب المناسبة ، ما لا يفهمه أمثال الرازى على امامته فى العلوم والفنون العربية ، واطلاعه على ما نقل عنهم فى هذا الباب . ومن ذلك ما نقله الاصمعى فى تفسير آية السرقة قال : (قال الاصمعى : كنت اقرا سورة المائدة ومعى اعرابى فقرات هذه الآية فقلت : (والله غفور رحيم) سهوا فقال الاعرابى كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله . قال : أعد فاعدت : « والله غفور رحيم » ، ثم تنبهت فقلت : (والله عزيز حكيم) فقال الآن اصبت . فقلت كيف عرفت ؟ . قال : يا هذا (عزيز حكيم) فأمر بالقطع ، فلو غفر ورحم لما امر بالقطع) فقد فهم الاعرابى الامى ان مقتضى العزة والحكمة ، غير مقتضى المغفرة والرحمة ، وان الله تعالى يضع كل اسم موضعه من كتابه ، ليدل على متعلقه فى خلقه انتهى كلام المرحوم رشيد رضا .
راجع تفسير المنار : المرجع السابق ، الجزء السادس ؟ صفحـة 384 .

اراد للانسان العزة بالعمل كمصدر للكسب ، والسارق امتهن كرامته وانسانيته حين ترك باب الكسب العزيز الى باب الكسب المهين ، والعزة عكس المهانة ، فكان وصف الله تعالى لنفسه بالعزة كاشفا عن معنى آخر فى السرقة وهو كونها امتهانا لكرامة الانسان ومضيعة لعزته .

وقد اشار علم الدين السخاوى فى شعر له الى هذا المعنى وهو يرد على ابى العلاء المعرى ، فقد اعترض المعرى على وجوب قطع اليد بسرقة القليل فقال :

يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار
تحكم ما لنا الا السكوت له
وان نعوذ بمولانا من النار

فاجابه علم الدين السخاوى بقوله :

عز الامانة اغلاها ، وارخصها ؟
ذل الخيانة فافهم حكمة البارى (1)

يقول احد الباحثين : (وكان الشارع الحكيم قصد بذلك اتلاف آلة الجريمة) (2) وفى ذلك ــ ايضا ــ يقول النسفى فى تفسيره : (وقطعت اليد لانها آلة السرقة) (3) .

وفى رايى ان هذا التحليل الاخير غير صحيح فليس المقصود بالقطع هو اتلاف او بتر آلة الجريمة ، والا لكانت العقوبة على القذف بقطع لسان القاذف وعلى الزنا بقطع وسيلة الاتصال الجنسى او باتلافها ، ومن غير الصحيح ايضا ان الشارع الاسلامى لم يقدر قطع آلة الجريمة فى الزنا (تفاديا من قطع النسل) كما يقول الامام النسفى (4) او لان (السارق له مثل يده التى قطعت فان انزجر بها اعتاض بالثانية وليس للزانى مثل ذكره اذا قطع لم يعتض بغيره لو انزجر بقطعه) كما يقول القرطبى (5) .

وحجتى على عدم صحة هذا النظر تتمثل فى أمرين :

الاول : ان علة قطع اليد ليست اتلاف آلة السرقة بقدر ما هو جزاء من جنس العمل ، والعمل الذى يجازى عليه هنا ، هو ان السارق اراد ان يزيد كسبه ، واليد اهم اداة للكسب والعمل ، فكان جزاؤه فى الاتجاه المادى والنفسى المضاد ، بان اضر فى تلك اليد ، التى اراد لها ان تطول بالحرام فقصرت بالعقاب .

والامر الثانى : ان عقوبة المجرم فى جريمة الحرابة هى الموت فى بعض الحالات ، وليس للانسان روح اخرى يعتاض بها عن الاولى ان انزجر ومن الخطأ ايضا ان نقول ان الشريعة الاسلامية قصدت بعقوبتها على السرقة ، ان تصبح يد السارق المقطوعة مصدر معايرة له من المجتمع ، بما فى ذلك من ردعها للآخرين حتى لا يأتوا ما اقترف فيلاقوا ما يلاقى من المعايرة الاجتماعية .

---

(1) راجع الابيات السابقة فى « روح المعانى » للالوسى : المرجع السابق ، الجزء السادس ، صفحة 134 .
وقد تحريت عن البيتين المنسوبين لابى العلاء فى ديوانيه الشهيرين « سقط الزند » واللزوميات « لزوم ما لا يلزم » فلم اجدهما ، ولكننى عثرت عليهما فى « روح المعانى » للالوسى كما أوضحت فى صدر هذا الهامش ، وعثرت عليهما ايضا فى تفسير مطول للقرآن الكريم بمكتبة الكلية الزيتونية للشريعة بالجامعة التونسية ، للامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بعنوان : « تفسير التحرير والتنوير » ، الدار التونسية للنشر (1971) ، الجزء السادس ، صفحة 193 .

(2) الدكتور الكبيسى : المرجع السابق ، صفحة 23 وهو قول ابن قيم الجوزية حيث يقول : (ولما كان داعى السرقة قويا ومفسدتها كذلك ، قطعنا فيها اليد ، وتأمل الحكمة فى افساد المضو الذى تباشر به الجناية) ثم يوضح بعد ذلك ان تلك الحكمة تكمن فى ان اليد هى آلة السرقة ، انظر كتابه : الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ، المرجع السابق ، صفحتى 76 و 77 .

(3) عن الدكتور الكبيسى ، المرجع السابق ، صفحة 23 .

(4) نقلا عن ابن القيم الجوزية فى اعلام الموقعين الجزء الثانى ، صفحة 97 و 107 .

(5) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنةوآى الفرقان ــ مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الجزء السادس ، صفحة 175 .

عرض موجز عن :

القرويين ماضيها وحاضرها

بقلم الاستاذ حسن السائح

مهما يختلف المؤرخون فى شروط الاقدمية للجامعات العلمية ، فان القرويين ستكون اقدم هذه الجماعات لانها بنيت فى فاتح رمضان سنة 245 هـ موافق 30 نونبر 859 ميلادية ، واذا كانت بنيت لتكون مسجدا فان الاسلام دين التعليم والقراءة ودراسة الكتاب الكريم ، والقرآن محور الدراسات الدينية والعلمية والفلسفية والادبية ايضا ، ولذلك استمر التعليم بها الى يومنا هذا دون ان ينقطع ، وسوف لن ينقطع الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

واذا كان المؤرخون كتبوا مجلدات عن تاريخ القرويين فاغفلوا الكثير ، فما احرى أن يكون عملنا مقتضبا جدا ، مهما حاولنا التركيز ، وقصدنا الاول أن نعطى فكرة مصغرة عن القرويين ، ورسالة (القرويين) وعظمة علمائها الذين التزموا خدمة الثقافة الاسلامية فما ضعفوا وما قصروا ، وبفضل كفاحهم ما يزال نورها الوهاج يرشد الانسانية للمحجة البيضاء.

قبل تأسيس المدينة

واية ارض يعمرها الانسان أحب اليه من سفح معشوشب جميل ، تتدفق الانهار فى جنباته ، وتتعانق الاغصان على ضفافه ، ويطل عليه الجبل شامخا يحرس الغابة الشجراء ، والزيتونة المتسلقة، والكروم الدانية القطوف .

فليترك المسلمون « وليلى » بآثارها الرومانية ، وليشيدوا المدينة الاولى للحضارة الاسلامية بالمغرب.

وشيد المولى ادريس مدينة فاس فى هذه الارض الخصبة ، ودعا الله أن تكون دار علم وسلام وصلاح ، وفى وسط المدينة شيد الفاسيون ضريحه الخالد اعترافا بالجميل وشهادة على أن الله استجاب دعاءه يوم بنى فاس قائلا :

(اللهم انك تعلم انى ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ومكابرة ، وانما أن تعبد بها ويتلى كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك ، محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير واعنهم عليه واكفهم مؤونة أعدائهم وادرر عليهم الارزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شىء قدير).

وتدفقت الخيرات على المدينة المسلمة الآمنة التى ظل اهلها يعيشون فى سلام واطمئنان ومحبة وصفاء وضاقت الشوارع بالدكاكين فى حركة دائبة ونشاط مستمر وتعاون انسانى بناء ، وازدحمت المعامل والمصانع بالصناع والعمال فتخصص كل واحد فى مهنته يتقنها ويسويها حتى اصبحت مدينة فاس مشهورة بصناعتها ومهارة سكانها فى البناء والعمران.

تاسيس القـــرويـيـــن

ولم يتم الزمان دورته حتى اكتظت المدينة الجميلة بالسكان حيث ورد عليها عشرات الاندلسيين بعد ان ضيق الخليفة الحكم بن هشام على الفقهاء ، كما هاجر اليها عشرات القيروانيين من تونس ، فخصص المولى ادريس القطاع الشرقى من فاس المعروف بعـدوة الاندلس ، للاندلسيين سنة 192 هـ 808 م والقطاع الغربى للقيروانيين . كما سكنت فاس قبائل مغربية فى العدوتين التى ضمتا البربر والعرب وتأسست بفاس أول حكومة مغربية اسلامية او ما يعبر عنه بالمخزن .

وكان من بين القيروانيين النازحين الى هـذه المدينة محمد بن عبد الله الذى توفى بعد وصوله لفاس وترك فتاتين عابدتين وثروة طائلة ، وبكت فاطمة اباها واسترخصت ثروتها لتخليد اسمه فى عمل جليـل خالـد وتوجهـت الـى اللـه قانتـة صادقـة ، وترك ابوهـا الراحـل وصيـة لابنتيه لينفقـا مـا تـرك فى عمـل جليـل مـن مالـه الحلال ، وحارت فاطمة ومريم ، وانثقلت الامانة كاهل فاطمة القانتة ، وكانت فى صلاتها بمسجـد الشرفاء بالعدوة الغربية او بمسجد الاشياخ بالعدوة الشرقية ، لا تجد مكانا للصلاة ، فقد ضاق المسجدان بالمصلين بعد ان كبرت المدينة ووجدت فاطمة طريق الخلود ونذرت ان تبنى مسجدا عظيما ، يتدفق منـه الايمـان والعلـم ، واشتـرت ارضـا لاشبهـة فيهـا مـن مـال حـلال وفى أرض لا نزاع فيها ولا خلاف بين ملاكها ، وآلت على نفسها الا يبنى الا بتربة نفس الارض المشتراة حتى يكون التراب طاهرا ، وان يغرف البناؤون مـن بئر يحفر فى أرض المسجد حتى لا يحملوا ماء ربمـا يكون غير طاهر ، ووضعت الحجرة الاولى ودشن الفاس المبارك الارض الطيبة فى اول رمضان سنة 245 ونذرت فاطمة لله أن تصوم طيلة ايام البنـاء داعية محتسبة ان يكون اعظم مسجد فى ديار الاسلام.

وجادت الارض بالماء والعيون والحجر والرمل . . وانتهى بناء مسجد جميل مربع طوله تسعة وثلاثون مترا وعرضـه اثنان وثلاثـون مترا ، يتألـف من اربعة اساكيب واثنـى عشر بلاطا والصومعة تواجه المحراب فى مكان (العنزة) اليوم وصلت فاطمة فى مسجدها ، وقد قرت نفسها بعملها الجليل الخالد

مسجـد القـرويين

ثم اصبحت القرويين بعد نحو قرن من تأسيسها فى حاجة الى التوسع والاصـلاح فأضاف الامـراء (الزناتيون) باسهام من الامويين الاندلسيين نحوا من ثلاثة آلاف متر مربع الى المسجد القديم واصبحت القرويين تشمل ثلاثة عشر اسكوبا وثمانية عشر بلاطا ثم زاد المرابطون فيها نحوا من الف وثمانية متر مربع فأصبحت فى صورتها الحالية تشمل ستة عشر اسكوبا وواحدا وعشرين بلاطا و 306 سارية وسبعة عشر بـابـا .

وعمـل المومنـون فى عهـد المرابطين وعهـد الموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين والعلويين على خدمتها واصلاحها واضافة مرافق جديدة اليها ، واستنفذ الفنان المرابطى طاقته فى تجميل القرويين فمن رقة الفن وروعة الزخرفة الى جلال البناء واكتشف الفنان المغربى مجاهله النفسيـة فانعكست موهبتـه منحوتة على الجس والمرمر والآجر ، ولما جاء الموحدون طمسوا معالم الفن المرابطى لان الفنان الموحدى يتقشف ضد الزخرفة متوجها للمتانة الخالصة ، والاعتدل فى الفن واقامة البنيان علـى اسس حجرية متراكبة مجللة بتاج ساذج ينافس رقة الفن المرابطى وانغماسه فى ترف الزخرفة والالوان ، مما كان الموحدون يرونه يلهى عن الاغراق فى العبادة .

الصحـــن

وصحن القرويين يتوسط ابهاء المسجد الداخلى والجناحين الكبيرين بجناح الصومعة وجناح المستودعات وبه (خصص (1)) ثلاثة « الوسطى » الجميلة والخصة

(1) الخصة بالاصطلاح الحضارى المغربى تعنى نافورة صغيرة للماء

« الحسناء » التى عليها قبة سعدية بديعة النقش وتقابلها قبة اخرى فى روعتها وتناسقها على هيئة ابهاء غرناطة .

والعنزة هى المحراب الصيفى حيث يصلى المؤمنون صلاة المغرب والعشاء فى فترة الصيف ويستمعون لدروس دينية ومحاضرات عامة .

وترتبط الخصص والفنيقيات العظيمة بممرات مبلطة بالفسيفساء الرقيق الصنع ومسرب مائى يلطف من حرارة الجو ايام الصيف . وزينت الجدران بساعات رخامية تحدد الساعات حسب انعكاس الظل .

الصومعة

تعتبر صومعة القرويين فريدة فى المغرب ، لانها بنيت على هندسة المساجد القيروانية فى تونس ، فهى مربعة واسعة وعلى راسها قبة مفلطحة يعلوها صارى العلم بينما صوامع المغرب مستطيلة وفى نهايتها قبة صغيرة مستطيلة او مخرومة ، وهى من بناء الامير احمد بن ابى بكر الزناتى عامل عبد الرحمن الناصر الاموى الاندلسى على بلاد العدوة . وقد اصلح هذا الامير مسجد القرويين وزاد فيه معتمدا على خمس غنائم الجهاد التى بعث بها الخليفة الاموى اسهاما فى بناء مسجد القرويين .

فبنى الصومعة بعد ان هدم التى كانت بوضع القبة حيث (العنزة) اليوم وصادف ان تنازع حفدة المولى ادريس فى سيف أبيهم ، فراودهم على بيعه حتى ارضاهم وجعله فى اعلى المنار .

وبجانب الصومعة برج لرصد الكواكب ورؤية الاهلة ونفير رمضان لاعلان الامساك والافطار .

ابواب القرويين

للقرويين 17 بابا تبتدىء من باب مجلس القضاة الموصلة الى ردهة كبيرة مسقوفة تتصل بداخل القرويين بواسطة بابين صغيرين يعتمدان على اساطين رخامية مجزعة وهذا هو جامع الجنائز ، حيث يخصص لوضع محامل الموتى الى أن يصلى عليها ، ثم باب الخلفاء طوله 3،82 وعرضه 2،14 المبنى به 531 وهو مصفح بكيفية فنية دقيقة ، ثم باب الشماعين ، ثم باب الصالحين ، ثم باب الكتبيين ، ثم باب الشهود ثم باب الحفاة الذى يضطر الانسان ان يمر فيه على الماء حتى يغسل رجليه ، ثم باب الوردة المقابل للخصة الحسناء ، ثم باب الخصة الذى يقابل مدرسة المصباحيين وكانت بينها وبين المدرسة حجرة وقف عليها حبس لتنظيفها وغسلها حتى يستطيع الطالب أن يخرج من المدرسة ويضع رجله اليمنى عليها ورجله اليسرى فى داخل القرويين وبذلك يظل منقطعا الى الدرس لا يضطر لشراء نعل لرجليه .

ثم باب النساء ، وباب ابن عمر ، وباب حيون وباب السبع لويات ، وباب خلوة الصوفية وباب الحدودى وباب الخوخة .

الجناحان

يتقابل الجناحان فى طرفى الصحن ويحتوى كل جناح على مكان للوضوء من المرمر، والتصميم المعمارى ماخوذ من صحن الاسد بغرناطة مع ملاحظة تقوية الالوان وكثرة التزيين بالنقوش والرخام والنجارة فى السقف ، وتعتمد القبة على أسوار . تتجلى فى جمالها عبقرية الفنان المغربى فى العصر السعدى حيث نحت الرخام بدقة ونحت فيه آيات قرآنية بخط زهرى الشكل ، وزين راس السارية بتاج بديع ذى نتوء دقيقة تعبر عما فى قلب الفنان من لواعج الشوق للخروج من المغلق والانفتاح على المجهول .

اما سقفها فزين بالقرميد الاخضر الذى يحميها من حرارة القيظ ووطاة الثلج والبرد .

وتحت جناح قبة السعديين الغربية القبة الحسناء التى تغنى بجمالها الشعراء وتجاور نافذة رخامية بديعة الشكل تحتوى على مائة واربعة وعشرين خاتما مرسومة فى الرخام بدقة هندسية لم يحدث معها اى خرم او خطأ فى الرسم وعلى القبة الآجر الازرق المفروغ فى قوالب اسطوانية .

المستودع

ولا تتاخر المراة عن اداء الصلاة فى المسجد فى

وقتها المحدد ولكنها احتفاظا بحرمتها يخصص لها جناح خاص عليه سياج من خشب الابنوس الدقيق الصنع حتى ترى من خلاله المسجد الجامع والفن الدقيق ولا ينظر اليها احد من المصلين لتنقطع عبادتها لربها عن كل شيء يربطها بالحياة .

وبجانب مسجد القرويين توجد دار صغيرة محبسة على النساء المصليات ليتوضأن قبل اداء الصلاة حتى اذا اتممن شعائر الوضوء والطهارة دخلن المسجد من باب قريب من الدار المخصصة لهن حيث يجلسن فى المستودع موقرات محترمات . وكما خصص للنساء جناح خاص ، خصص للصوفيين والعباد خلوة خاصة للعبادة لا يكدر صفوها ضجيج فهى متباعدة فى زاوية نائية ، شيدها ابو فارس المرينى فى الصف الاول من المسجد وتقابلها خلوة اخرى بعيدة عن الضوضاء قريبة من باب مجلس العلماء .

الخصة الوسطى

وهى من أروع ما نحتته يد الفنان المغربى حيث استطاع ان يقيم على قاعدة مربعة صحنا جميلا يغمره الماء وتتدفق من اعلاه المياه بغزارة ليرمز بذلك الى العلم الذى يتدفق فى أرض القرويين الخصبة وعندما تنعكس اشعة الشمس على الماء يربط النور بين الارض والسماء فى هذا المسجد العظيم .

المزولة الشمسية

والزمان لن يحاربه المومنون الا بالتسابق الى اعمال البر والخير ، وهكذا كانت الساعات فى كل نواحى القرويين توقظ المومنين للعمل ، وعدم الاتكال والمزاول الرخامية صنعتها يد الفنان المغربى الذى ينقشها على الرخام الابيض . طبق مخطط هندسى دقيق وتكتب أرقامها واضحة لبساطتها حتى يفهمها الجميع .

داخل المسجد

اما داخل المسجد فهو مغطى ببناء عال له سقوف معتمدة على ركائز من الابنوس المتين ، وقد عملت بها يد الفنان ، فلم « تترك جانبا الا زخرفته ودفن بأولها (طلسم الامان) من شرور الحشرات المؤذية وتتدلى منها مصابيح كثيرة ، وثريا جميلة كانت تملا بزيت الزيتون اللامع الضوء ، ثم أصبحت تضاء بالكهرباء .

واساطين القرويين تتداخل وتتفارق فى هندسة بديعة ، وبالقرويين 241 سارية عالية 34 سارية رخامية صغرى فى الجناح السعدى ، وباب مسجد الجنائز ، وزاوية العباد و 51 سارية حائطية تعتمد عليها الاقواس والحنايا ، وتمتاز سوارى المرابطين بتربيعها اما السارية السعدية والمرينية فمستديرة مزينة بتاج جميل .. ومن بين السوارى السعدية سوارى من المرمر الملون بجامع الجنائز طول الواحدة متر و 46 فى علوها 22 سنتم فى قطرها وقاعدتها من علو 20 سنتيمتر ، وقد نقشت عليها زهور الاقنتا والاقناتوس والاقحوان .

الثريا الكبرى

وهى عمل فنى دقيق من آثار الموحدين ، لا تضاهيها فى المغرب القديم الا ثريا مسجد مدينة تازة المرينى ، وتحت هذه الثريا الجميلة كانت تجتمع حلقات العلماء والكتاب واننا لنذكر يوم ان جلس تحتها اربعة شعراء نظرها اولهم فقال :

انظر الى ثريا نورها
يصدع باللآلىء سحب الغسق

اما الثانى فقال :

كأنها فى شكلها ربوة
انضم النور بها فاتسق

اما الشاعر العظيم مالك بن المرحل فقال :

اعيذها من شر ما يتقى
من فجاة العين برب الشفق

المحراب

عرفت القرويين بمحرابين ، الاول فى الجدار الشمالى الذى أثبت الفلكيون انحرافه الشديد عن القبلة الحقيقية فبنوا محرابا آخر فى شرق المسجد ، ولكنه ظل منحرفا ايضا فرسموا عليه صورة محراب منحرف نحو الشمال واحتياطا للسمت فقد اوقفوا على من

يقيم الصلاة ليامر المصلين ان ينحرفوا قليلا جهة الشمال على هيئة الامام ، وقد توج المحراب بلوحات فنية بديعة وكوات دقيقة ملونة ومصابح ونوافذ ملونة .

ويمين المحراب آثار فنيّة من عمل الفن المرينى الذى يهتم بتسطيح النقوش الناتئة وتسويتها ، والكتابة بحروف منسجمة مع الازهار فيها ، اما اعمدته فمطروزة الرؤوس مستديرة الساق ذات رؤوس مكعبة الرسوم، مورقة الاضلاع ، حلزونية الشكل ، زهرية ، وقد تطورت عملية بناء الاقواس من نصف دائرى بسيط ، الى حنايا متقطعة الى عقود تجاوزت النطاق الدائرى فى العصر المرينى .

الناقوس الكبير

هو المعلق بالبلاط الاوسط بالقرويين ، المقابل لباب الكتبيين وقد امر بتعليقه امير المومنين ابو الحسن بعد ان جعل فى جوانبه أجنحة قائمة متفرقة ليبقى ظاهرا عليها مراكز لقوارير الزجاج التى تشبع فيه وما تزال عليه نقوش باللاتينية اذ كان قبل ذلك ناقوسا باحدى كنائس الاندلس .

القبة المستطيلة

لقد استخدم النقاش المرابطى النحت فى الحجارة والمرمر والطين المطبوخ والمقربصات وعمل المرابطون على تلوين القبة التى فوق المحراب بالوان تستمد انعكاساتها الحربائية باختلاف اتجاه النور المنعكس عليها .

اما الترصيف بالخزفية فقد تساوقت مع المعطيات الجديدة فى الهندسة المعمارية وهى تقوم ازاء الافاريز والرسوم الوردية الشكل المحدقة بالمنارات والعصب الكتابية واطر الابواب .

وبعد هذا العصر شاع استعمال رؤوس الاساطين، واستعيض عن الاقواس المنصصة فى المنارات بأقواس على شكل هلال .

ويلاحظ وفرة التسطيرات والمقربصات الجميلة ، والتلوينات المختلفة فى هندام مكتمل وتوريق فاخر ، وتسطير مضبوط ونقش بارز مع تجانس فى نسب الوضع الفنى .

وفى سنة 540 حاصر الموحدون فاسا ليهدموا آثار المرابطين الذين كانوا يسمونهم بالمجسمين ، واتفق علماء القرويين على طمس روائع الفن المرابطى فأخفوا معالمه وغطوه بالجص لئلا يحطم الموحدون مسجد القرويين كما فعلوا بكتبية مراكش ولا استبعد أن يكون ذلك بايعاز من الموحدين انفسهم ، الذين عز عليهم ان يحطموا اعظم مسجد فى المغرب ... وقد ازيل الجص وعادت القرويين لما كانت عليه من قبل .

المنبر

ازدهر فى القرن الخامس النقش على الخشب وكان الفنانون ينحتون على المرمر والعاج وخشب الابنوس المركب من قطع صغيرة مثل التقاطيع التى يزين بها العود المرينى الرائع على خشب ارز الاطلس

الكرسي

والكرسى للعالم المتخصص ليملى درسا على الطلاب الكثيرين ، حيث يتباعدون فى الحلقة فيستطيعون رؤيته من بعيد والاستفادة من علمه . ومن حق القرويين أن تفخر انها سبقت الجامعات الى كراسى التخصص ، فكانت هذه الكراسى الكثيرة فى القرويين لمختلف المواد العلمية ، قبل أن تكون للعالم نفسه ، فهناك كرسى الحديث ، وكرسى الفقه ، وكرسى التفسير ، حتى اذا انتهى الاستاذ المتخصص جلس على الكرسى (الوراق) الذى يقرا ما فى الكتاب دون تفسيره ليستفيد جمهور المستمعين على شكل المحاضرات الاذاعية التى تلقى اليوم ليستفيد الجمهور المتعطش للمعرفة وليظلوا على اتصال بالثقافة الاسلامية .

وكان بالقرويين مائة كرسى لتدريس العلوم موزعة فى القرويين والمساجد التابعة لها علاوة على ست ومائة (106) مدرسة اولية للذكور والاناث وبها عشرون كرسيا للدروس المهمة ذات المستوى العالى فى القرويين ولا يناله الا من رشحه قاضى المدينة الذى هو مدير القرويين ، وكل كرسى له استاذ

خاص وكتاب خاص ووقف خاص به ايضا .

التاريخ الفكرى

للقرويين رسالة تعليمية وتثقيفية ، خاصة فكل استاذ مسؤول ادبيا عن تعليم العلم واشاعة الثقافة الاسلامية ، ويجب أن يلقى درسه على العموم رغم اختلاف المواد وتخصصه العلمى لان مقدرته ليست فيما يعرف من علم ، ولكن فى قدرته على شرحه وتبسيطه لذلك فالعامل والفلاح يجوز له ان يحضر درسه فى هذه الجامعة الشعبية ليستفيد من حلقات الدروس ، وهكذا كان الاستاذ يجلس على كرسى حسب قيمة الدرس ، يعلم العلم ويحارب الامية فى نفس الوقت وهو يعطى فى حصته الدراسية ما يفيد الطلاب ذوى المستوى العالى والاميين والمبتدئين على السواء بالاضافة الى المحافظة على سلسلة الروايات واخذ العلم من افواه العلماء ، على ان غالب الدروس الاملائية الدينية تكون بالمسجد اما دروس الحساب والفلك والطب والهندسة فتكون بالمدارس العلمية المعدة لذلك ولها اساتذة مختصون .

وقد ظلت القرويين تدافع عن المذهب المالكى ، والعقيدة الاشعرية وتحارب الامية ، مع التخصص فى البحث العلمى ، الذى كون جهابذة العلماء فى مختلف شعب المعرفة ، وكانت القرويين تخضع فى التوجيه التربوى لقاضى المدينة الذى له الحق فى تحويل الكراسى العلمية لمن رآه كفؤا لها من العلماء ، بتعاون مع مجلس من كبار العلماء ويخضع لسلطته محتسب المدينة الذى كان هو المتصرف فى مالية القرويين واحباسها والنفقة على الاساتذة والطلاب ، واصلاح المسجد ، وتجهيزه بالحصر والكراسى واضاءة المصابيح ، والنفقة على القائمين على تنظيمه والسهر على سيره الادارى ثم انتقل ذلك الى الاحباس .

وبلغت القرويين اوج مكانتها العلمية فى عهد بنى مرين حتى ذكر ابن ميمون انه ما راى مثلها ومثل علمائها فى غزارة الحفظ لنصوص المذاهب ولنصوص كل علم من العلوم، ويقول ابو الحسن ما رايت مثلها ومثل علمائها فى تلمسان وبجاية والشام وبلاد الحجاز ومصر ، على ما تقرر عندى . وقد شاهدت القرويين صراعات النظريات العلمية والمذاهب الكلامية والفلسفات الدينية ، وكانت حصن الاسلام ومعقل التفكير الاسلامى .

وتجاوزت شهرتها المغرب الى الخارج فدرس بها البابا سلفستر واستفاد من معارفها موسى ابن ميمون ، وغيرهم كثير .

المدارس العلمية

تحيط بالقرويين العظيمة عدة مدارس لايواء الطلبة ، وفيها ابهاء للمطالعة والدرس وعدد المدارس كثير جدا ، لان كل دولة تنافس الدولة السابقة . فى تقديم خدمات علمية ، ولذلك فالمدارس بمثابة الاحياء الجامعية اليوم ، فتوجد مدرسة بالحفارين ومدرسة يوسف بن تاشفين ومدرسة الصهريج ومدرسة العطارين ومدرسة الوادى ، ومدرسة الخصة ومدرسة ابى عنان ، وكل مدرسة تحتوى على بيوت للطلبة ، ويختلف عليها استاذان يراجعان مع التلاميذ دروسهم او يدرسون معهم بعض المواد ، التى لا تدرس فى القرويين لعمقها واقتصارها على المستويات العليا كالفلسفة والطب والهندسة ولكل مدرسة حارس نهارى وليلى ينظفها ويكلفان بشؤون الطلاب مع خزانة كتب صغيرة واحباس عليها.

ويتكلف الطلاب بنفقاتهم ويحملون بعض المواد الغذائية الى بيوتهم ، أما ادارة القرويين فتتكفل لهم بالخبزة والرغيف وبعض المواد الزيتية ومنحة شهرية اذا كان يلقى بعض دروس الوعظ او يقرا القرآن فى المساجد بعد صلاة المغرب مع اعانة سنوية مهمة زيادة على احترام السكان لهم حيث يتكفلون بتقديم الطعام الى الطلاب المنقطعين تقربا الى الخير وتزلفا الى البر والتقوى .

البوعنانية

المدرسة البوعنانية من آثار المرينيين ، اسسها ابو عنان المرينى تتجلى فيها روائع الفن المرينى

الاندلسى فى طرز رؤوس الاعمدة التى طعمت مجموع مظاهر الفن الاسلامى وتنظيم النقوش الناتئة . كما يلاحظ تطور الاقواس من نصف دائرية بسيطة الى حنايا منقطعة الى عقود تجاوزت النطاق الدائرى وتلعو احيانا اقواس اسكفة محمولة على دعامتى الباب . وتمتاز هذه القباب بنتوئها وتقعيرها ومقربصاتها المتساوقة .

اما جدرانها وابهاؤها فلا يوجد بها مكان الا وللفنان المرينى اثر فيه ولا تقع عينك الا على جمال ساحر لهذا الفن الرائع الذى جمع بين النقش فى الخشب والرخام والجبص .

وبجانبها ساعة مائية عظيمة تعلن عدد الساعات بواسطة صنجات كان يقرعها الماء السارى فى مسارب دقيقة تعمل طيلة النهار والليل بدون انقطاع .

مدرسة الشراطين

ومدرسة الشراطين مدرسة حديثة من آثار المولى الرشيد وهى رائعة الحسن عظيمة البناء ، ذات صحن جميل وثريا عظيمة وباب مصفحة بالبرنز فى نقش متداخل يمزج جمال الشكل الهندسى بروعة الفن ويلاحظ جمال رخامها المجلوب من ايطاليا .

وتظهر مهارة الجباص المغربى فى نحت مزيج فى الكلس والرخام فى التلبيسات المعمارية كما تتجلى عبقرية النجار فى برى وتقليم المداشر الخشبية ، التى تتكون منها قطع المقربصات ، وتفننت يد الزلايجى فى اقتطاع دقائق الزليج وتلوينها لتبليط الاديم والجدران بالفسيفساء والكوى وسيقان الاعمدة الدائرية ، ولاناقة النحوت الكتابية ، والرسوم الهندسية فان الصور الزهرية اصبحت تقتبس من ينابيع جديدة وبالاخص من مجموعة البنايات الفرسية التى تزدان سعوفها وزهرياتها بالقرنفل والسوسن .

خزانة القرويين

كانت القرويين كلية علمية ، لذلك فان بداخلها ثلاث خزائن تاريخية قديمة وبخارجها خزانة علمية جديدة ، واهم خزاناتها الاربع هى التى بناها المرينيون

قرب مقصورة خطيب المسجد وكتب على بابها نحتا على الخشب قانون مضمن اعارة الكتب وتضم من نفائس الكتب الشىء الكثير رغم تعرضها للنهب عدة مرات ، واما بيت الكتب المسمى بالخزانة العلمية فبابه مصفح (بالصفر) تقديرا لمكانة الكتب ولها قيمون اربعة يحتفظ كل (قيم) بمفتاح ولا يفتح الباب الا بعد ان يجتمع القيمون الاربعة وبها مصحف من هدايا آل عثمان الى المنصور السعدى بخط عجيب ، وقد أدرج فى صندوق مزخرف حبسه المنصور على القرويين ، كما كتب التحبيس عليه بخطه وتربه بالذهب الوهاج الذى ما زال اثره واضحا للعيان .

ومنها كتاب البيان والتحصيل للقاضى ابن رشد فى رق الغزال ، وهو جزء ضخم من جلود الغزلان فى غاية النظافة والصقالة ، وكتابته فى غاية التراص والاتساق من بدايته الى آخره وبه ثلاثمائة وثمانية عشر صحيفة تتصل كل صحيفة بأخرى بمعنى ان الاهاب الواحد يطوى لصحيفتين ولا شك ان الرق المنسلخ عن الغزال بعد اسقاط اطرافه يحمل أكثر من ذلك ولذلك يعد ان صحائف الكتاب استهلك تسعين ومائة غزال وتحضير مثل هذا العدد السالم من الرق واتقان دبغه من روائع الفن المغربى وقد تم نسخه سنه 720 بقلم احمد الصنهاجى .

واقدم كتاب بهذه الخزانة هو سيرة ابراهيم بن محمد الفزازى المكتوبة فى رق غزال سنة 270 هجرية والمتوفى مؤلفه سنة 186 هجرية وبها مختصر ابى مصعب احمد بن ابى بكر القاسم بن الحارث بن زرارة المتوفى بالمدينة سنة 242 ومن الآثار تاريخ العلامة ابن خلدون ومقدمة الكتاب باهداء المؤلف نفسه الى خزانة القرويين فاذا كان ابن خلدون عاش وزيرا بفاس وكتب بها مذكراته ، قبل ان يذهب الى مصر حيث ألف كتابه العظيم فقد ابى الا ان يوجه الى خزانة القرويين التى استفاد منها ، نسخة من كتابه العظيم.

وبمستودع منار القرويين مجانة خشبية من اهداء ابى سالم المرينى ، وتتركب من مربعين ولها اربع وعشرون نافذة تتفتح كل نافذة للاعلام بساعة ويتصل بها اسطرلاب فى دائرة اربعة وعشرين ناقوسا

وبها اربع ، اثنان من كل جهة ، وكانت تتعلق بها ثقاقيل من القرب تملأ ماء .

كما ان بها مختلف الساعات لضبط الوقت كالساعات الرملية والمائية والحائطية والمزاول الشمسية بالاضافة الى الاستعانة بالثقافة التنجيمية ، ورصد النجوم والكواكب وتعديلها واستخدام الربع المجيب والاسطرلاب واللوغاريتم والحصة الشهرية والسنوية لضبط الاوقات، حتى يمكن للمؤذن ان يعتمد على ذلك قبل الاذان بصوته الجميل فى صلاة الصبح او الظهر او العصر او المغرب او العشاء او الاذكار التى يؤنس بها الغرباء فى الليالى المدلهمة .

حياة الطلبة الدراسية

كان النظام المتبع فى القرويين تخصيص دروس الصباح للفقه ، والزوال للدروس اللسانية والعلوم الاخرى ، وطيلة هذه الدراسة تتكفل الاوقاف التابعة للقرويين بتموين الطلاب ومساعدتهم ولا تعطل الدراسة الا يوم الخميس والجمعة وجزءا من الصيف وشهر رمضان حيث يدرس الطلبة هذه المدة العلوم . السهلة الفهم كالتاريخ والسيرة الخ ، وعندما ينهى الطالب هذه المرحلة يحرز على اجازة بعد مناقشة العلماء ، وشهادة القرويين بكفاءته العلمية ، واجازته على ان فى وسعه ان يدرس ويعلم بل تنص الاجازة على المواد التى درسها ، واتقن دراستها واصبح فى وسعه ان يعلمها وكانت الاجازة امتحانا عسيرا لا محاباة فيه وعلى الطالب ان يظهر مقدرته امام جميع اساتذته .

وعند ما يتخرج الطالب يصبح استاذا او قاضيا او مفتيا مشاركا فى تكوين اطر الدولة الادارية على مختلف المستويات علاوة على ان الاطر الصغرى المكونة من العامل والفلاح والنحات والتاجر كلها تلقت تربيتها الاولى فى حلقات القرويين اما الاطر العليا فتعمل على تسيير الدولة فى مختلف وظائفها الوزارية والسفارية والقضائية والتقنية والطبية والصيدلية .

وكان فى وسع المتخرج ان يكون مفتيا اى يدافع عن مستفتيه امام القاضى ولكن بطريقة دراسته للقضية وكتابة تقرير الى القاضى لينظر فى ذلك التقرير بصفة استشارية فقط .

والطلاب الذين يتخرجون من القرويين يعودون لبلادهم الحضرية او القروية لينشروا الثقافة الاسلامية ويصونوا الجماعة الاسلامية ؛ ويظلون دائما على صلة بأساتذتهم حتى فى القرى او المدن ليحضروا دروس طلابهم ويشدوا ازرهم وحتى يؤدوا مهمتهم كاملة كما اداها اساتذتهم وآباؤهم من قبل .

توعية المجتمع

والتوعية الاجتماعية ، وتجنيد الامة للعمل البناء والامر بالمعروف تلك رسالة القرويين الاجتماعية .

وفى المسجد يجتمع المؤمنون ليتلقوا اخبار العالم الاسلامى ، ففى القرويين انشد الشعراء قصائد رقيقة للدفاع عن الاندلس يوم دهمها التعصب المسيحى .

وكان يفزع اليها المؤمنون طيلة ايام الاستعمار يستنكرون تعسفاته العدوانية فى اسلوبها المسالم بالتوجه الى الله (باللطيف) .

وقد سبقت القرويين فى اسلوبها السلمى اساليب غاندى وبقيت القرويين بين اليقظة الاسلامية والدعوة السليمة وخدمة الانسانية سواء ببرامجها التربوية او توعيتها الاجتماعية ، واتخاذها اسلوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حدود ما امر الاسلام به .

وقبل ان يعرف العالم هيئة اليونسكو التى تدعو الى محاربة الامية وازاحة الحرب عن الافكار والدعوة الى السلام . كانت القرويين فى حلقاتها اليومية تحارب الامية وتحث على الاخاء والحب والسلام دون تفرقة جنسية او عنصرية او لونية او سلالية ، وتدعو الى مسالمة اهل الكتاب من اليهود والنصارى والى الجدل بالتى هى احسن واشاعة المحبة والخير، واستجاب المؤسسون لدعواتها فكانت عاصمة السلام ونبراس افريقيا الذى لا ينطفىء .

حفـلات الطلبـة بسلطـان الطلبـة

من العوائد المألوفة فى فاس ومراكش ان يتفزع طلبة كلية القرويين الى وادى فاس والى جنـان الحارثى ان كانوا من طلبة اليوسفية بمراكش لقضاء نزهة الربيع ، ويستعدون لهذا الحفل استعـدادا كاملا حيث يقيمون بينهم سلطانا منهم يستمر متوليا على عرشه الهزلى اسبوعا كاملا ، واحيانا يمددون العطلة عشرة ايام تنتهى بخلعه عن العرش المزعوم ومطاردته ويجتازون مراحل تقليدية لتنصيب هـذا السلطان فهم ينتظرون بداية فصل الربيع ليقدموا الى صاحب الجلالة ملك البلاد طلبا بالاذن باقامة الحفلة وعند ما يأذن لهم ، يجتمعون باحدى مدارس فـاس العتيقة كالعطارين أو (الشراطين حيث تباع السلطنة) فى المزاد العلنى ، ومن استطاع ان يؤدى اكثر من غيره فى هذا المزاد نال (السلطنة) ويسجل عدلان من المحكمة الشرعية ذلك ، ولا بد ان يكون السلطان (آفاقيا) اى من غير سكان فاس او مراكش ، وذلك تشجيعا للطلبة الغرباء واحتفاء بهم وتأنيسا لهم ، وعندما يعين سلطان الطلبة يؤسس حكومة مصغرة مؤلفة من وزير المالية يتولى الانفاق ، ومن (محتسب) كثير النقد والنكث والهزل فيضفى على الحفلة الوانا من العبث والسخرية والمجون البرىء .

وتهتم الحكومة بهذا الحفل ، فترسل لسلطان الطلبة كسوة مؤلفة من سلهام وكساء وجلباب والبدلة الداخلية وتجعل رهن اشارته فرسا جيدا وكوكبة من الفرسان وجوقة موسيقية عسكرية تصحبه لمقـر النـزهـة .

واول عمل يؤديه هذا السلطان هو الخروج فى موكب رسمى من المدرسة التى ينتمى اليها علـى الساعة الحادية عشرة فى حفل حاشد من اصدقائه الطلاب ، تتقدمهم الجوقة العسكريـة وتحـف بهم العسس والمخازنية فيتجه صوب مسجد الاندلس لاداء صلاة الجمعة ثم يغادره الى ضريح ابن ابى حرزهم حيث يوجد قبر المولى الرشيد مؤسس هذا الاحتفـال تخليدا لذكراه .

ثم يرجع مساء الى المدرسة التى خرج منها حيث يقضى ليلة ويغادرها فى اليوم التالى ، الى وادى الجواهر فى حفل رسمى ، ممتطيا جواده ، تحف به الاجواق الموسيقية ويتقدمه (المحتسب) يـداعب ويمازح الجمهور حتى اذا بدت طلعة سلطان الطلبة اهتزت الشوارع بالتصفيق والتهليل والزغاريد .

وعند ما يصل الى وادى فاس يجد سرادقـه الكبير وسط مخيمات (الاهالى) الذين يؤثرون النزهة فى وادى فاس مع سلطان الطلبة .

وتستمـر النزهة اسبوعـا كاملا ، وفى نهايتـه يشرف جلالـة الملك وخليفتـه سلطـان الطلبـة فى موكب عظيم حيث يقدم للطلاب هدايـا خاصـة يستعينون بها على قضاء باقى ايام النزهة .

وعند ما يصل جلالة الملـك يترجل سلطـان الطلبة ويقبل يده الكريمة كما يقدم الى جلالته رسالة يضمنها طلبه الخاص ، ثم يرجع الى الوراء ويركب فرسه ويتقدم ليقف قريبا منه حيث يحادثه جلالـة الملك ويتقدم المحتسب فيملى من هزله ومجونه وعبثه ما يضحك به جلالة الملك ويرحب سلطان الطلبـة بجلالة الملك ثم يخطب المحتسب او سلطان الطلبـة خطبة هزلية تضحك الجمهور ثم يرجع جلالة الملك فى موكب رسمى .

وفى نهاية الاسبوع يؤدى صلاة الجمعة فى حفل رسمى بمسجد ابى الجنود ثم يرجع الى مقر مملكته بوادى الجواهر بفاس .

ومن العادة ان يختفى سلطان الطلبة مساء يوم الجمعة لانهم اذا وجدوه يوم السبت صباحا اشبعوه ضربا ونكلوا به بطريقة هزلية .

اما الاعتمادات المالية المخصصة لهذا الحفل فتتكون من ثمن شراء سلطنة الطلبة التى يدفعها يوم المزاد العلنى ، ومن الهدايا التى يقدمها جلالة الملك يوم زيارته للطلبة ، ومن الضرائب التى يفرضهـا المحتسب على اغنياء المدينة بواسطة ظهائر ومراسيم موقعة بامضاء سلطان الطلبة ، ومن الذعائر التـى يفرضها المحتسب على اصحاب الدكاكين حيث يتهمهم بمخالفات السعر او الغش فى المبيعات فى جو مرح

ضاحك فيؤدونها راضين .

واما الجائزة التى تعطاه فهى التى يقدمها لجلالة الملك مكتوبة فى رسالة ولا تخرج عن طلب وظيفة (عدل) أو تسريح (سجين) .

القرويين فى العهد الجديد

وجاء عصر الحجر والحماية فاستمرت جامعة القرويين المجاهدة المكافحة ضد الاحتلال والتى جندت نفسها لترد الغزو الظالم عن كل اصلاح جديد سواء فى الدراسة او الادارة وقد سماها الجنرال اليوطى بالبيت المظلم وحذر الاستعمار منها ثم جاء الاستقلال ونظمت فى اطار وزارة التعليم المغربية فى وزارة التعليم مصلحة خاصة بها تشرف على التعليم الاسلامى فى القرويين ، وفى باقى المعاهد الدينية الكبرى فى المغرب كله ، وانفصلت ادارة التعليم الابتدائى عن الثانوى وعن العالى فتطورت المعاهد الاسلامية وخرجت الدراسة من المسجد الى المدرسة وارتفع عدد التلاميذ الى عشرة آلاف بدلا من ستمائة فى آخر عهد الحماية ، وتكونت فروع لها فى عدة جهات كما وقع الاهتمام بالدراسة التقنية ، الى جانب الدراسة الاسلامية .

ولم يعد الطالب يبتدىء الدراسة متى شاء بل حدد السن الدراسى ، الذى يبدا فى السابعة فى الابتدائى ويلج التلميذ القرويين فى سن الثالثة عشرة .

وبنيت مخابر عصرية ليقضى بها التلاميذ ساعة الدراسات التطبيقية فى العلوم والفيزياء والكمياء .

وبدلا من نظام البيت المدرسى والخبزة والاعانة السنوية بنيت داخليات تضم مئات الطلاب تشمل منامة حديثة ومطعما عصريا مجهزا بأحدث الآلات وقاعات للسينما والتلفزيون واندية للرياضة البدنية .

ولم تضع الروح الاسلامية وسط خضم المواد العلمية بل على العكس فالمادة الاسلامية قوام الدراسة فى القرويين والدروس العلمية كلها مستوحاة من التوجيه الاسلامى فالكيمياء والفيزياء والعلوم صبغت بالثقافة الاسلامية التى كونت الغزالى وابن سينا وابن رشد والفارابى وابن خلدون وابن باجة

وابن الطفيل وخرج الاستاذ من القرويين الى المسجد ليعظ الشعب ويعلم الامى كما كانت رسالة اساتذته من قبل .

واصبح التلميذ يجتاز مرحلة التعليم الابتدائى ليدخل للثانوى الاول وبعده الثانوى الثانى فيتخصص بعد ، اما بشعبة الآداب او الشريعة او العلوم وبعدها الى مرحلة التعليم العالى ليكون طالبا فى كلية الشريعة او كلية اصول الدين ، او كلية اللغة العربية او باقى الكليات حسب ميوله وثقافته وتعمل الثقافة الاسلامية لتصبغ التعليم المغربى بوحدة فكرية سليمة عربية اللغة اسلامية العقيدة .

وبالقرويين مئات الطلاب الافارقة من الكونغو وكينيا ومالى ، والسنغال ، والطوغو والسودان ، وساحل العاج ، والنيجر والحبشة ، كلهم يتزودون من علم القرويين ويكرعون من ينابيعها الفياضة ليؤدوا رسالتها فى افريقيا — كما بها طلاب من المانيا وروسيا واليابان .

وتأسس بها معهد للفتيات حيث تدرس فيه الفتاة المسلمة الثقافة الاسلامية وتتخصص فى الشعب الجديدة وتضيف الى المادة الاسلامية والعلمية دراسة التدبير المنزلى مع فن الطبخ وتفصيل الملابس وغير ذلك وهكذا أصبح معهد الفتيات مركزا للتكوين الاولى الموحد يدرس الجغرافيا والتاريخ والكيمياء واللغات الاجنبية، فى فصول نموذجية جديدة وبهن فتيات من افريقيا والمغرب العربى .

المراصد الفلكية

واذا كانت القرويين مركز النشاط الدينى الذى يستلزم المحافظة على الصلاة فى اوقاتها فقد اقتضى ذلك أن يهتم اهتماما دقيقا بأوقات الصلاة الخمس ورؤية هلال رمضان ومراقبة اهلة باقى الشهور لذلك بنى بجانب صومعة القرويين برج عظيم ترصد منه الكواكب والنجوم ويؤدى هذا البرج وظيفة علمية فلكية ، فيعلن عنه بالنفير والبوق والفيطة بداية الصيام ، ويرقب منه هلال العيد ، ويؤدى مهمة المرصد العلمى الدقيق (والبرج) هو المعمل التطبيقى

لمؤقت القرويين الذى يختار عادة من علماء الفلك والتنجيم ويقضى جل أوقاته بمكتبه الذى يوجد فى صومعة القرويين ، ويسمى بغرفة المؤقت التى بها عشرات الساعات الحائطية من مختلف الانواع والانماط والاحجام وبها مختلف أنواع الكرات الارضية والكرات الفلكية ليستعين المؤقت بكل ذلك على مهمته كما سبقت الاشارة اليه .

والموقت يتحمل مسؤولية دينية كبرى ، اذ عليه أن يقابل ويوفق بين الساعات الآلية والمزاول الشمسية ، ثم يعطى اشارة الاذان الى مؤذن القرويين فينادى المومنين الى الصلاة فتقتدى صوامع المدينة بآذان القرويين .

بيع الكتب بالمزاد

ولعل من أمتع عوائد القرويين طريقة بيع الكتب حيث تعرض كل يوم جمعة بعد الصلاة فى مزاد علنى ، منها المخطوط والمطبوع ويستفيد الطلبة الذين يحضرون عادة السوق كثيرا ، حيث يعرفون أسماء الكتب والمؤلفين ، يقدرون أثمانها التى تباع بها ويتعودون على معرفة أسماء المؤلفين والمؤلفات وأنواع المطابع والمخطوطات والخطاطين ، والتوقيعات وما الى ذلك وكم يكون ممتعا أن تسمع (الدلال) وهو يردد بصوت جوهرى ، مقدمة ابن خلدون طبعة بولاق الاولى من الحجم المتوسط كانت فى ملك العلامة المشهور القاضى الخ . .

وهكذا يتاح للطالب ان يتعرف على المؤلفات ويشتريها بثمن زهيد .

من نام ولم يصل

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضا انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان .

صحيح البخارى ، ج : 2 . 65

إنشاء معهد للدعوة الإسلامية بالمغرب

ورد هذا الخبر فى مقال نشرته صحيفة « الميثاق » التى تصدرها رابطة علماء المغرب ، فى العدد رقم : 267 الصادر فى فاتح ربيع الثانى 1398 .

وقد حلل صاحب المقال باسهاب مراحل الزيارة التى قام بها وفد الرابطة الى المملكة العربية السعودية فيما بين : 20 و 28 صفر 1398 ، بدعوة من سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية .

وحول نتائج الزيارة جاء فى المقال ما يلى :

« كانت النتيجة العملية لزيارة الوفد هى ابرام اتفاقية بين الرياسة وامانة الرابطة على انشاء معهد للدعوة الاسلامية بالمغرب تقوم الرياسة بتمويل بنائه وتجهيزه فى حدود عشرة ملايين ريال سعودى وتقوم الرابطة أى المغرب بتقديم الارض اللازمة له ثم بعد ذلك يقع تسييره باشراف مجلس مشترك وميزانية تتحمل الرياسة اى السعودية 65 فى المائة منها والباقى يتحمله المغرب . وقد روعى فى هذا المعهد ان تكون مهمته تكوين الدعاة الصالحين للعمل فى بعض الاقطار الافريقية وبعض المراكز الاسلامية فى اوربا نظرا لموقع المغرب الذى يرشحه للقيام باعباء الدعوة فى كلا الميدانين .

كما وقع الاتفاق على قيام الرياسة بنفقه جماعة من المرشدين والدعاة الذين توجههم الرابطة الى مختلف البلاد فى القارتين ، من الآن وقبل قيام المعهد وانتصابه لاداء مهمته .

وجرى الحديث كذلك فى انشاء صحافة اسلامية تقوم بتوجيه الرأى العام فى البلاد الاسلامية وغيرها توجيها اسلاميا سليما وتشجيع الصحف القائمة بالواجب فى هذا المجال على قلتها ولو بالاشتراك فى أعداد كثيرة منها وتوزيعها على من يستفيدون منها فى مختلف الجهات وغير ذلك » .

دعوة الى الترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية

يسر الامانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية فى الرياض ، المملكة العربية السعودية ، أن تدعو الجامعات والمجامع العلمية واللغوية ومراكز البحوث والمؤسسات العلمية الاخرى الى ترشيح من تراه لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية فى مجال :

(الدراسات التى تناولت اثر العلماء المسلمين فى الحضارة الاوروبية)

ولجائزة الملك فيصل العالمية للادب العربى فى مجال :

(الدراسات التى تناولت الشعر العربى المعاصر)

والمقرر منحهما فى شهر ربيع الاول سنة 1399 هـ

تتكون كل جائزة من شهادة تحمل اسم الفائز وملخصا للعمل الذى اهله لتسلم الجائزة وميدالية ثمينة ، ومبلغ نقدى قدره مائتا الف ريال سعودى (200،000) ريال سعودى ، وسيتم تقليد الفائز فى احتفال رسمى يقام فى مدينة الرياض لهذا الغرض .

ويرجى مراعاة الشروط الاتية عند الترشيح :

1 ــ ان يكون العمل المرشح للجائزة مطبوعا ومنشورا بالعربية ، وتقبل الاعمال المنشورة بلغة اجنبية اذا اقترنت بترجمة عربية .

2 ــ أن يكون العمل متمشيا مع قواعد البحث العلمى ومناهجه ، وان يتميز بالجدة والاصالة وان يحقق هدفا من اهداف الجائزة .

3 ــ ان لا يكون العمل المرشح قد منح جائزة من قبل من اية مؤسسة علمية او عالمية .

4 ــ ان يتم الترشيح لهاتين الجائزتين من المؤسسات العلمية العربية والعالمية كالجامعات ومراكز البحوث والمجامع اللغوية ونحوها ، ولا تقبل الترشيحات الفردية ولا ترشيحات الاحزاب السياسية .

5 ــ تكتب الترشيحات باللغة العربية على ان تتضمن معلومات وافية عن المرشح تبين حياته العلمية والعملية ومؤلفاته واعماله المنشورة مع صور من مؤهلاته العلمية .

6 ــ ترسل الترشيحات مع عشر نسخ من العمل المرشح من خارج المملكة بالبريد الجوى المسجل الى سفارة المملكة العربية السعودية فى القاهرة او سفارتها فى لندن .

اما الترشيحات والاعمال المرشحة من داخل المملكة ، فترسل بالبريد المسجل او الرسمى الى مقر الامانة .

وفى كل حالة يكتب عليها بخط واضح « جائزة الملك فيصل العالمية »

7 ــ آخر موعد لقبول الترشيحات والاعمال المرشحة هو غرة شهر رمضان سنة 1398 هـ وما يصل بعد هذا التاريخ لا يلتفت اليه الا اذا اجل موضوع الجائزة من هذا العام الى العام القادم .

8 ــ لا تعاد الاعمال والترشيحات الى مرسليها فاز المرشحون بالجائزة ام لم يفوزوا .

9 ــ تعنون جميع الاستفسارات باسم : الامين العام لجائزة الملك فيصل العالمية الرياض ، ص ، ب ، 352 المملكة العربية السعودية .

والله ولى التوفيق ...

انشاء معهد البحوث الإسلامية

انعقد المؤتمر الثانى لرابطة الجامعات الاسلامية بالرباط ما بين : 11 و 13 جمادى الاولى 1396 .

ومن شعاراته :

— رسالة الجامعات الاسلامية فى مواكبة التطور العلمى .

— الجامعات الاسلامية معاقل للفكر والحضارة الاسلامية .

مسؤولية الجامعات الاسلامية فى الحفاظ على ترسيخ الفكر الاسلامى ولغة القرآن

— تلاحم الفكر الاسلامى لخدمة الامة الاسلامية .

ومن توصياته :

قضايا الجامعات الاسلامية :

— يؤكد المؤتمر اهمية الجامعات الاسلامية وواجبها فى اصلاح المجتمع ، ودرء الاخطار عنه ، وضرورة دعمها ماديا ومعنويا لكى تمارس نشاطها فى ذلك .

البحث العلمى :

— يومن المؤتمرون بأهمية البحث العلمى ، وضرورة تهيئة سبله ، ورفع مستواه فى الجامعات الاسلامية .

ومن أجل ذلك يرون :

— أن تقوم الجامعات الاسلامية بانشاء مراكز للبحوث فى مختلف التخصصات ، وبخاصة الطوم الشرعية وعلوم اللغة العربية ، وما يتصل بهما من علوم اجتماعية وتاريخية وحضارية .

— ان تكون تلك المراكز مقدمة لانشاء مركز اعلى للبحوث الاسلامية ، تشارك فيه الجامعات الاسلامية .

تعليق :

بناء على محتوى هذه التوصية ، وما تضمنته من اقتراح ، هل نعتبر هذا تراجعا من الرابطة عن مشروعها المتعلق بمعهد البحوث الاسلامية المقترح انشاؤه واخراجه الى حيز الوجود فى نطاق جامعة القرويين .

ومن المعلوم ان فكرة انشاء هذا المعهد الذى لا مثيل له فى العالم الاسلامى كان لها وقع حسن ، واثر بعيد ، منذ تردد صداها بين اوساط الشخصيات العلمية المشاركة فى المؤتمر التأسيسى للرابطة فى رجب 1389 — شتنبر 1969 بمدينة فاس ، وقد حددت اهدافه آنذاك بأن انشاءه يستجيب الى حالة العالم الاسلامى الحاضرة التى تضع قبل كل شىء معنى جديدا لعلم الاسلاميات ، كما ان هذا المركز المقترح عليه أن يحمل عاليا مشعل الروحانية الاسلامية حية موحدة وواضحة السلوك فى طريق الاصلاح الاجتماعى لتكوين وتجميع اطارات قوية قادرة على أن تنشر وتشع نور الاسلام فى العالم .

وتجدر الاشارة فى الاخير الى أن العدد المكرر — الثالث والرابع — من « المجلة الاسلامية » التى تصدرها الرابطة ، قد بشر بقرب ابراز المركز الاسلامى للبحث العلمى الى حيز الوجود بحول الله .

فاسألوا أهل الذكر

التوليد بالتلقيح الاصطناعي

بقلم فضيلة الاستاذ الرحالى الفاروقى

جاءنى سؤال من بعض الشباب نصه بعد السلام :

لى الشرف بأن احيط جنابكم علما اننى شاب فى مستهل العقد الرابع من عمرى ولى رغبة أكيدة فى انجاب الاطفال قصد التمتع ببهجة الدنيا من جهة ، وتكثير سواد الامة الاسلامية من جهة اخرى غير أن منيى لا يتوفر على الحيوانات المنوية التى تعتبر الشرط الاساسى فى انجابها بناء على شهادات الاطباء المختصين .

وقد طرق سمعى عدة مرات ان الطب الحديث توصل الى ادخار كمية صالحة من السائل المنوى فى شكل حقن تدعى (حقن التلقيح الاصطناعى) اى انجاب الاطفال بواسطة تلقيح بويضة المراة بمنى شخص يحمل الحيوانات المنوية الصالحة من غير التقاء الرجل بالمراة .

ونظرا لقصور باعى فى العلوم الاسلامية وان كان لى الملم بها عدلت عن الاقدام على ذلك قبل استفتاء العلماء المتضلعين فى الشريعة الاسلامية وقد وقع اختيارى عليكم لما تمتازون به من تضلع فى الشريعة الاسلامية ولما تتمتعون به من غيرة على الدين الاسلامى ولقوة ايمانى فى انكم لا تكتمون ما اوتيتم من علم وما تستنبطونه بواسطة اجتهادكم فى الاسئلة الآتية :

1) ما هو حكم الشريعة الاسلامية فى التوليد بالتلقيح الاصطناعى ؟

2) هل يأثم المقدم على تلقيح زوجته ؟

3) هل يعتبر هذا التلقيح من الزنى ؟

4) هل يعد المولود بواسطة التلقيح ولد زنى ؟

5) هل للمولود المذكور من الحقوق ما للمولود الشرعى ؟

هذه هى الاسئلة التى تختلج فى فكرى وتجعلنى اتحير واتردد كلما عزمت على الاقدام على ذلك .

لذا ارجوكم ان تجيبونى عنها كتابة ، واملى وطيد فى انكم ستفعلون فى القريب العاجل بحول الله . انتهى السؤال .

وهذا هو الجواب ، نسأل الله التوفيق والصواب :

جاءنى كتابكم الدال على ان منيكم لا يتوفر على ما هو شرط اساسى فى انجاب الاولاد بشهادة الاطباء الاختصاصيين ، وعلى ان الطب الحديث توصل الى ادخار كمية صالحة من السائل المنوى فى شكل حقن تدعى (حقن التلقيح الاصطناعى) اى انجاب الاولاد بواسطة تلقيح بويضة المراة بمنى شخص يتوفر على

الحيوانات المنوية الصالحة من التقاء الرجل بالمراة .

وجوابا على ذلك نصدر ببعض الحقائق التى من شأنها ان تساعد على شرح القضية واصدار الحكم فيها :

أولا — من المعروف ان الولد يتكون من سائل منوى يخرج من الرجل ويتدفق فى رحم المراة المتهيء للتفاعل سواء وصل اليه عن طريق الاتصال الجسمانى العادى او عن طريق آخر ، وهذا قوله تعالى فى خلق الانسان « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » وقوله تعالى « انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج » اى مختلطة من منى الرجل ومنى المراة ، وذلك معنى التفاعل المشار اليه

ومما جاء فى كتب الشافعية قولهم : ان الحمل قد يكون بادخال الماء للمحل دون اتصال ، وهذا تصريح من الفقهاء ان وصول المنى عن غير الطريق المعتاد قد يكون سببا فى شغل الرحم بالجنين ، فالاتصال الجنسى وسيلة معتادة لتكون الحمل وقد يكون هذا التكون بوسيلة اخرى غير معتادة كالتلقيح الاصطناعى .

ثانيا — من المسلم به ان مستوى الانسان فوق مستوى الحيوان ، وقد عرف التلقيح فى الحيوان والنبات من قبل وظهر نجاحه فى انواع حسنة من الحيوانات ، وفى ثمار جيدة من النباتات ، ونجاح التجربة فى التلقيح الحيوانى والنباتى ادى ودفع الى تجربة التلقيح البشرى ، الا ان القصد من التلقيح البشرى غير القصد من التلقيح الحيوانى والنباتى ، فان الغرض من هذا الاخير هو الحصول على انواع مستحسنة من النباتات والحيوانات ، واما الغرض من التلقيح البشرى فانما هو التجربة العلمية ، وهل تفيد كما افادت فى الحيوان والنبات ام لا ؟

ولكن قد اتخذ ذلك فيما بعد لتحقيق رغبة الزوجين اللذين لا ولد لهما . ومعلوم ان الانسان له مجتمعات من شعوب وقبائل تتكون من افراد وتنتظم فى سلسلة واحدة تنتمى وتنتسب اليها وهم بانسانيتهم وكرامتهم ليسوا كافراد الحيوانات التى تظل مفككة لا تربطها رابطة ولا تجمعها جامعة ، فللانسان حياة ارقى وانقى وهى حياة تلك المجتمعات التى تخضع لشرائع سماوية وقوانين بشرية وتلبى داعى الفطرة الانسانية ، ويرتبط بها المرء فى حياته وسلوكه وينتظم بها فى اسرته بالابوة من اجلها .

وبناء على هذا القدر من الشرح يمكننا ان نقول ان حكم الشريعة الاسلامية فى التوليد بالتلقيح الاصطناعى عدم الجواز ، وان التوليد به من المنكر والاثم العظيم ، وان من يقدم على ذلك يحنث ويأثم لانه تلقيح بماء اجنبى لا يربط بينه وبين المراة اى عقد ، ولانه يزج بالانسان فى دائرة الحيوان ويخرجه من مستوى المجتمع الفاضل الذى يبنى حياته على حفظ الكرامة اى التعاقد الزوجى واعلانه فى المجتمع ، فهو من دون شك يلتقى مع الزنى فى اطار واحد وهو وضع ماء اجنبى قصدا فى موضع ليس بينه وبين ذلك الرجل اى ارتباط شرعى ، فيكون النسب مدخولا والعار مستمرا فى المجتمع الانسانى الفاضل .

وعليه فهذا التلقيح داخل فى نطاق الزنى واذا كان كذلك فالولد المتخلق منه ابن زنى ، لا يلحق بالزوج العالم بهذا التلقيح ، وبالطبع فلا يتمتع الولد المتكون من هذا التلقيح بالحقوق التى يتمتع بها الولد المتخلق عن عقد مشروع ، والله سبحانه وتعالى اعلى واعلم .

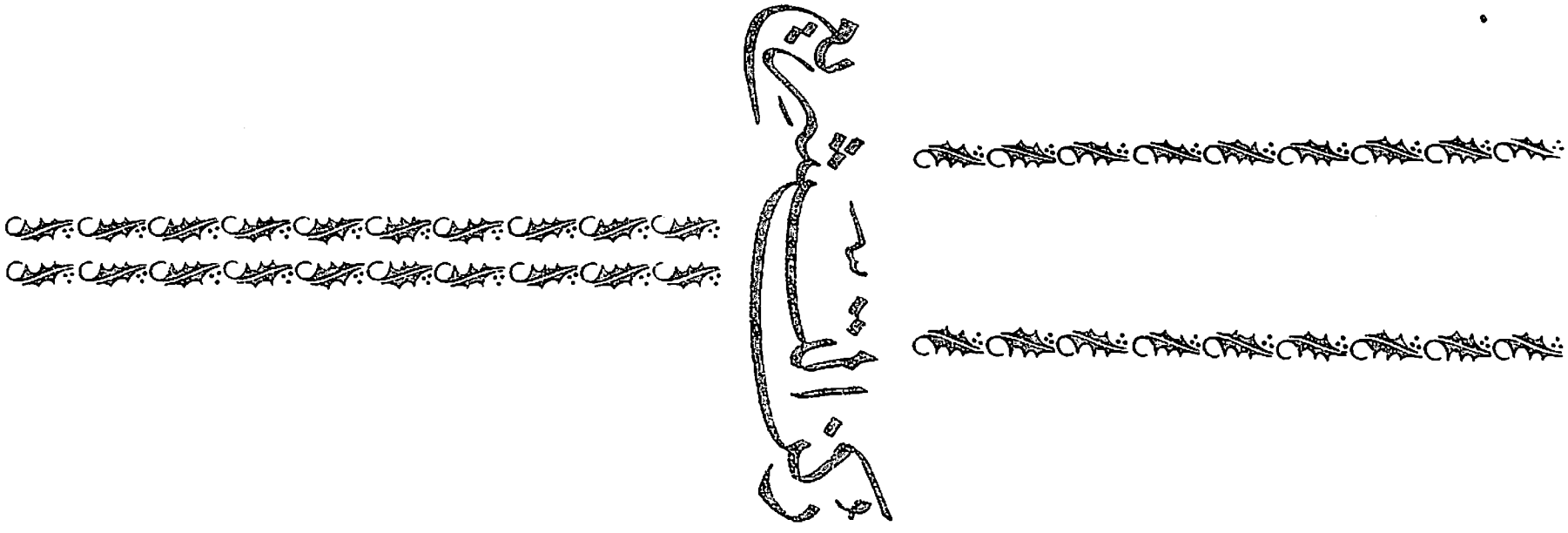

قرار لوزير المالية رقم 764.76 بتاريخ 24 ذى القعدة 1395 (28) نونبر 1975) بشأن التنظيم المالى والحسابى لجامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس .

ان وزير المالية ،

بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.75.398 الصادر فى 10 شوال 1395 (16 اكتوبر 1975) بمثابة قانون يتعلق باحداث الجامعات .

وبمقتضى الظهير الشريف رقم 1.75.102 الصادر فى 13 صفر 1395 (25 يبراير 1975) بمثابة قانون يتعلق بتنظيم الجامعات .

وبمقتضى الظهير الشريف رقم 1.59.271 الصادر فى 17 شوال 1379 (14 ابريل 1960) بتنظيم مراقبة الدولة المالية على المكاتب والمؤسسات العمومية والشركات ذات الامتياز وكذا الشركات والمنظمات المستفيدة من المساعدة المالية التى تقدمها الدولة او الجماعات العمومية ، حسبما وقع تغييره بالظهير الشريف رقم 1.61.402 المؤرخ فى 27 محرم 1382 (30 يونيه 1962) .

يقرر ما يلى :

الجـــزء الاول

التنظيم الحسابى

الفصل 1

ان عمليات المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة والمؤسسات الجامعية (الكليات والمدارس والمعاهد) تدرج فى آن واحد فى محاسبتين متباينتين يمسك احداهما الآمر بالدفع والاخرى العون المحاسب .

1 ــ محاسبة الآمر بالدفع

الفصل 2

تشتمل محاسبة الآمر بالدفع على محاسبة الميزانية التى تمكن من تتبع تنفيذ الميزانية فى النفقات والمداخيل .

وتتضمن المحاسبة ما يلى :

فتح الاعتمادات والترخيصات فى المداخيل الناتجة عن وثيقة المزانية .

الالتزام بالاعتمادات او دفعها .

اصدار الاوامر بالاداء والاوامر بالمداخيل .

الفصل 3

يترتب عن المحاسبة وضع قائمة شهرية تبرز بشأن كل عنوان فى الميزانية :

فيما يخص النفقات :

الاعتمادات المتوفرة .

الاعتمادات الملتزم بها .

الاوامر الصادرة بالاداء .

فيما يخص المداخيل :

الترخيصات بالمداخيل الناتجة عن وثيقة الميزانية .

الاوامر الصادرة بالاداء .

الفصل 4

تدرج فى المحاسبة الالتزامات بالنفقات بعد الاطلاع على الاوامر بالخدمة وسندات الطلب وعقود الاقتناء ومقررات التعيين او جميع المقررات الاخرى المماثلة .

الفصل 5

تثبت تصفية النفقات والمداخيل بعد الاطلاع على عبارة « صالح للاداء » أو « صالح للاستخلاص » التى يضعها الآمر بالدفع على الفاتورات المتلقاة أو المصدرة أو على الاوراق التى تقوم مقامها .

الفصل 6

يتوقف الامر بالدفع على امر بالاداء لا يمكن اصداره دون الالتزام بنفقة وسابق تصفيتها .

الفصل 7

لا يمكن ادراج اية عملية فى المحاسبة دون سابق وضع وثيقة اساسية (امر بالاقتطاع ، امر بالاداء ، امر بالمدخول ، امر بعمليات مختلفة) يؤشر عليها الآمر بالدفع أو الشخص المفوض له من طرفه لهذا الغرض .

2 — محاسبة العون المحاسب

الفصل 8

يعين وزير المالية العون المحاسب لجامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس طبقا للظهير الشريف رقم 1.59.271 المشار اليه اعلاه المؤرخ فى 17 شوال 1379 (14 ابريل 1960) .

اما الوسائل المادية والبشرية التى يراها وزير المالية لازمة لاداء مهمة العون المحاسب فتوضع رهن اشارة هذا الاخير من طرف رئيس جامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس .

الفصل 9

يمسك العون المحاسب محاسبة تبين فيها جميع العمليات التى اصدر الآمر بالدفع امرا بشانها طبقا للفصل 7 اعلاه .

الفصل 10

يؤهل العون المحاسب وحده للتصرف فى الاموال والقيم . غير أن الشيكات او اية وسيلة اخرى للتسديد صادرة عن العون المحاسب تحمل وجوبا امضاء الآمر بالدفع والعون المحاسب .

الفصل 11

يكون العون المحاسب مسؤولا عن تنفيذ الاوامر بالاداء والاوامر بالمداخيل طبق الشروط المنصوص عليها فى الظهير الشريف رقم 1.59.271 المشار اليه اعلاه المؤرخ فى 17 شوال 1379 (14 ابريل 1960) .

ويجب رفض كل اداء فى حالة تعرض يبلغ بصفة قانونية الى العون المحاسب .

الفصل 12

يتتبع العون المحاسب باستمرار تطور عناصر الاصول والخصوم من ممتلكات الجامعة .

ويؤهل للتأكد أو العمل على التأكد من المحاسبات الاصلية ومحاسبات المكلفين بالتسبيقات أو المداخيل ويوضع عن كل عمل من اعمال التأكد المذكورة محضر يبلغ الى الآمر بالدفع والى المراقب المالى .

الفصل 13

يضع العون المحاسب شهريا موازنة عامة لجميع عملياته ويوجه نظيرا منها الى الآمر بالدفع وآخر الى المراقب المالى .

ويقوم العون المحاسب بنفس الاجراء فى نهاية

السنة المالية فيما يتعلق بالموازنات السنوية .

الجـــزء الثانـــى

التنظيـــم المالـــى

الفصل 14

توضع ميزانية المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة والمؤسسات الجامعية عن الفترة المتراوحة بين فاتح يناير و 31 دجنبر من كل سنة .

الفصل 15

تقسم الميزانية الى فروع وابواب، وفصول وفقرات كما تدعم بجميع المذكرات او الوثائق المثبتة . وتحتوى على قائمة تدرج فيها مقررات ومنجزات السنة المالية السابقة .

الفصل 16

لا يمكن تغيير ميزانية المصالح المشتركة لرئاســـة الجامعة والمؤسسات الجامعية الا طبق الكيفيـــات المتبعة فى وضعها . غير ان مقررات وزير المالية المتخذة بناء على اقتراح الآمر بدفع الميزانية يمكن أن تغير تخصيص الاعتمادات المدرجة فى العناوين بباب واحد باستثناء ما يتعلق بالاعتمادات المرصودة للاستثمار .

الفصل 17

يؤذن للآمر بالدفع فى حالة عدم المصادقة علـــى ميزانية التسيير عند افتتاح السنة المالية فى ان يلتزم بنفقات التسيير الادارى المحض فى حدود الاعتمادات المفتوحة على اساس الجزء الثانى عشر (1/12) من الميزانية فى كل شهر .

الفصـــل 18

يكون الآمر بالدفع والعون المحاسب مسؤولين عن تنفيذ الميزانية كل واحد منهما فيما يخصه .

الفصل 19

تتوقف العمليات الآتية على سابق تأشيرة المراقب المالـــى :

صفقات الاشغال التى يعادل او يتجاوز مقدارها : 100.000 درهم ؛

صفقات الادوات التى يعادل او يتجاوز مقدارها : 50.000 درهم ؛

الصفقات المبرمة بالاتفاق المباشرة كيفما كـــان مبلغها ؛

الاقتناءات العقارية ؛

الاعانات او المنح او الارجاعات او التسبيقـــات التى تقدمها المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة او المؤسسات الجامعية ؛

عقود تقديم الخدمـــات (الكـــراء والتأميـــن — المهندسون المعماريون مكاتب الدراسات ، المهندسون المستشارون وغيرهم) .

الفصل 20

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية .

وحرر بالرباط فى 24 ذى القعـــدة 1395 (28 نونبر 1975) .

وزير المالية ،

الامضاء : عبد القادر بنسليمان .

قرار لوزير المالية رقم 765.76 بتاريخ 24 ذى القعدة 1395 (28 نونبر 1975) بشان التنظيم المالى والحسابى لجامعة القرويين بفاس .

ان وزير المالية ،

بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.75.398 الصادر فى 10 شوال 1395 (16 اكتوبر 1975) بمثابة قانون يتعلق باحداث الجامعات ؛

وبمقتضى الظهير الشريف رقم 1.75.102 الصادر فى 13 صفر 1395 (25 فبراير 1975) بمثابة قانون يتعلق بتنظيم الجامعات ؛

وبمقتضى الظهير الشريف رقم 1.59.271 الصادر فى 17 شوال 1379 (14 ابريل 1960) بتنظيم مراقبة الدولة المالية على المكاتب والمؤسسات العمومية والشركات ذات الامتياز وكذا الشركات والمنظمات المستفيدة من المساعدة المالية التى تقدمها الدولة او الجماعات العمومية ، حسبما وقع تغييره بالظهير الشريف رقم 1.61.402 المؤرخ فى 27 محرم 1382 (30 يونيه 1962) ،

يقرر ما يلى :

الجزء الاول

التنظيم الحسابى

الفصل 1

ان عمليات المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة والمؤسسات الجامعية (الكليات والمدارس والمعاهد) تدرج فى آن واحد فى محاسبتين متباينتين يمسك احداهما الآمر بالدفع والاخرى العون المحاسب .

1 — محاسبة الآمر بالدفع

الفصل 2

تشتمل محاسبة الآمر بالدفع على محاسبة الميزانية التى تمكن من تتبع تنفيذ الميزانية فى النفقات والمداخيل.

وتتضمن المحاسبة ما يلى :

فتح الاعتمادات والترخيصات فى المداخيل الناتجة عن وثيقة الميزانية ؛

الالتزام بالاعتمادات او دفعها ؛

اصدار الاوامر بالاداء والاوامر بالمداخيل ؛

الفصل 3

يترتب عن المحاسبة وضع قائمة شهرية تبرز بشأن كل عنوان فى الميزانية :

فيما يخص النفقات :

الاعتمادات المتوفرة ؛

الاعتمادات الملتزم بها ؛

الاوامر الصادرة بالاداء .

فيما يخص المداخيل :

الترخيصات بالمداخيل الناتجة عن وثيقة الميزانية ؛

الاوامر الصادرة بالاداء .

الفصل 4

تدرج فى المحاسبة الالتزامات بالنفقات بعد الاطلاع على الاوامر بالخدمة وسندات الطلب وعقود الاقتناء ومقررات التعيين او جميع المقررات الاخرى المماثلة .

الفصل 5

تثبت تصفية النفقات والمداخيل بعد الاطلاع على عبارة « صالح للاداء » او « صالح للاستخلاص » التى يضعها الآمر بالدفع على الفاتورات المتلقاة او المصدرة او على الاوراق التى تقوم مقامها .

الفصل 6

يتوقف الآمر بالدفع على آمر بالاداء لا يمكن اصداره دون الالتزام بنفقة وسابق تصفيتها .

الفصل 7

لا يمكن ادراج اية عملية فى المحاسبة دون سابق وضع وثيقة اساسية (أمر بالاقتطاع امر بالاداء ، أمر بالمدخول ، امر بعمليات مختلفة) يؤشر عليها الآمر بالدفع او الشخص المفوض له من طرفه لهذا الغرض .

2 ـ محاسبة العون المحاسب

الفصل 8

يعين وزير المالية العون المحاسب لجامعة القرويين بفاس طبقا للظهير الشريف رقم 1.59.271 المشار اليه اعلاه المؤرخ فى 17 شوال 1379 (14 ابريل 1960) .

اما الوسائل المادية والبشرية التى يراها وزير المالية لازمة لاداء مهمة العون المحاسب فتوضع رهن اشارة هذا الاخير من طرف رئيس جامعة القرويين بفاس .

الفصل 9

يمسك العون المحاسب محاسبة تبين فيها جميع العمليات التى اصدر الآمر بالدفع امرا بشأنها طبقا للفصل 7 أعلاه .

الفصل 10

يؤهل العون المحاسب وحده للتصرف فى الاموال والقيم . غير ان الشيكات او اية وسيلة اخرى للتسديد صادرة عن العون المحاسب تحمل وجوبا امضاء الآمر بالدفع والعون المحاسب .

الفصل 11

يكون العون المحاسب مسؤولا عن تنفيذ الاوامر بالاداء والاوامر بالمداخيل طبق الشروط المنصوص عليها فى الظهير الشريف رقم 1.59.271 المشار اليه اعلاه المؤرخ فى 17 شوال 1379 (14 ابريل 1960) .

ويجب رفض كل اداء فى حالة تعرض يبلغ بصفة قانونية الى العون المحاسب .

الفصل 12

يتتبع العون المحاسب باستمرار تطور عناصر الاصول والخصوم من ممتلكات الجامعة .

ويؤهل للتاكد او العمل على التاكد من المحاسبات الاصلية ومحاسبات المكلفين بالتسبيقات او المداخيل ويوضع عن كل عمل من اعمال التاكد المذكورة محضر يبلغ الى الآمر بالدفع والى المراقب المالى .

الفصل 13

يضع العون المحاسب شهريا موازنة عامة لجميع عملياته ويوجه نظيرا منها الى الآمر بالدفع وآخر الى المراقب المالى .

ويقوم العون المحاسب بنفس الاجراء فى نهاية السنة المالية فيما يتعلق بالموازنات السنوية .

الجـــزء الثانـــى
التنظيـــم المالـــى

الفصل 14

توضع ميزانية المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة والمؤسسات الجامعية عن الفترة المتراوحة بين فاتح يناير و 31 دجنبر من كل سنة .

الفصل 15

تقسم الميزانية الى فروع وابواب وفصول وفقرات . كما تدعم بجميع المذكرات او الوثائق المثبتة . وتحتوى على قائمة تدرج فيها مقدرات ومنجزات السنة المالية السابقة .

الفصل 16

لا يمكن تغيير مزانية المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة والمؤسسات الجامعية الا طبق الكيفيات المتبعة فى وضعها . غير ان مقررات وزير المالية المتخذة بناء على اقتراح الآمر بدفع الميزانية يمكن ان تغير تخصيص الاعتمادات المدرجة فى العناوين بباب واحد باستثناء ما يتعلق بالاعتمادات المرصودة للاستثمار .

الفصل 17

يؤذن للآمر بالدفع فى حالة عدم المصادقة على ميزانية التسيير عند افتتاح السنة المالية فى ان يلتزم بنفقات التسيير الادارى المحض فى حدود الاعتمادات المفتوحة على أساس الجزء الثانى عشر (1/12) من الميزانية فى كل شهر .

الفصل 18

يكون الآمر بالدفع والعون المحاسب مسؤولين عن تنفيذ الميزانية كل واحد منهما فيما يخصه .

الفصل 19

تتوقف العمليات الآتية على سابق تاشيرة المراقب المالى :

صفقات الاشغال التى يعادل او يتجاوز مقدرها : 100.000 درهم ؛

صفقات الادوات التى يعادل او يتجاوز مقدارها : 50.000 درهم ؛

الصفقات المبرمة بالاتفاق المباشر كيفما كان مبلغها ؛

الاقتناآت العقارية ؛

الاعانات او المنح او الارجاعات او التسبيقات التى تقدمها المصالح المشتركة لرئاسة الجامعة او المؤسسات الجامعية ؛

عقود تقديم الخدمات (الكراء والتامين ، المهندسون المعماريون مكاتب الدراسات ، المهندسون المستشارون وغيرهم) .

الفصل 20

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية .

وحرر بالرباط فى 24 ذى القعدة 1395 (28 نونبر 1975) .

وزير المالية ،

الامضاء : عبد القادر بنسليمان .

كلية الشريعة

المديـــر :

ابـــد الخرشافـــى

كلية الشريعة بالنيابة

التحريـــر :

ج ادريس ســـبرس

عنوان المراسلة :

دوق البريد رقم 1728

الأطلـــس ـــ فـــاس

ن العـــدد : 3 دراهـــم

ة غـــير ملزمة برد المقـــالات
اصحابهـــا .

ء الواردة فى المقالات والابحاث
وحة للمناقشـــة .

لة مستعدة لنشر ما يرد عليها
هو مقبول وفى المستوى .

ث المقالات الى العنوان أعلاه .

محتويات العدد :

افتتاحيـــة

الاستاذ العابد الخرشافى 5

نظام الحكم فى الاســـلام

العلامة الاستاذ عبد الله كنون 9

نظام الاسلام فى المال والاقتصاد

العلامة الاستاذ الفاروق الرحالى 12

مرونة الفقه الاسلامى على العرف والعوائد

العلامة المرحوم محمد السائح 21

المغرب والدعوة الى الاحتفال بذكرى القرن الرابع عشر الهجرى 28

جامـــع القرويـــين

الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله 37

أوصاف ابن طاهر الخلقية ـــ العلامة الاستاذ مولاى التقى العلوى 41

حكمة العقوبة الاسلامية على السرقـــة

الاستاذ طارق احمد حجـــى 48

القرويين ، ماضيها وحاضرها

الاستاذ حســـن السائح 55

انشاء معهد للدعوة الاسلامية بالمغرب 66

دعوة الى الترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلاميـــة 67

معهد البحوث الاسلاميـــة 68

فاسألوا اهل الذكر : التوليد بالتلقيح الاصطناعى 69

ركـــن التشـــريـــع 71